روائع المسرح العالمى

١٦

عزيزى بروتس

تأليف ج . م . بارى

ترجمة الدكتور عمر مكاوى

مراجعة مصطفى حبيب

تقديم رشدى صالح

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمى
١٦

عزيزى بروتس

تأليف
ج . م . بارى

ترجمة
الدكتور عمر مكاوى

مراجعة
مصطفى حبيب

تقديم
رشدى صالح

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

عزيزى بروتس

تأليف

ج . م . بارى

DEAR BRUTUS

by

J. M. BARRIE

بقلم
رشدى صالح

عزيزى بروتس

تمهيد

المؤلف : حياته وعصره — البيئة الفكرية العامة — الاتجاهات المسرحية فى زمانه — مسرح سير جيمس بارى — خصائصه ومكانه من الاتجاهات المعاصرة له — مسرحية عزيزى بروتس — خصائصها — عنوانها — فكرتها الرئيسية — مسرح بارى والمستقبل .

رشدى صالح

المؤلف والمسرحية

ولد سير جيمس ماتيو باري ، فى عصر الملكة ڤيكتوريا ، وتوفى قبيل الحرب العالمية الثانية . فهو من الذين عاصروا نهاية القرن الماضى . ونشوب الحرب العظمى . ووقوع الأزمة الاقتصادية العالمية ، ثم التمهيد لمعارك حرب ثانية .

كان أبوه نساجاً ، وكان مولده فى بعض أنحاء فورفاشاير باسكتلندة ، عام ١٨٦٠ . وفى هذه البيئة الخشنة ، قضى طفولته ، وتلقى تعليمه إلى أن تخرج فى جامعة أدنبرة . وشرع – بعد ذلك – يعمل فى الصحف وعهد نفسه للاشتغال بالأدب ، فإذا شارف الثلاثين ، أصاب نجاحاً مرموقاً فى الصحافة ، فصار الكاتب الأول فى « ذى نوتنجهام ديلى نيوز» ومحرراً لامعاً فى « سانت جيمس مجازين » لكنه لم يصب مثل هذا النجاح ، فى التأليف الروائى والمسرحى ، وكان عليه أول الأمر أن يواجه الفشل المتكرر ، ويصمد له .

وبعد الثلاثين من عمره ، لفت إليه الأنظار بروايات « طوم العاطفى »(١) و« طوم وجريزيل »(٢) و « بيتر پان »(٣)

---

(١) Sentimental Tommy (٢) Tommy & Grizel

(٣) Peter Pan

التى ظهرت فى كتاب ، ثم انتقلت إلى المسرح .

وفى عام ١٨٩٤ ، قدم للمسرح « قصة غرام البروفيسور »(The Professor's Love Story) التى أذاعت اسمه ، وثبتت أقدامه ، وأتبعها — بعد ثلاثة أعوام — بمسرحية « القس الصغير » (The Little Minister) التى ساقت إليه الثراء .

ولبث يكتب للمسرح ، فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى ، روايات عديدة ، منها « كرايتون العجيب » (The Admirable Crichton) — عام ١٩٠٢ — و « مارى الصغرى» — عام ١٩٠٣ و «آليس تجلس بجوار النار » — (Alice-Sit-by the Fire) — عام ١٩٠٥ و « جوزفين » (Josephine) عام ١٩٠٦ — « وما تعرفه كل امرأة » (What Every Woman Knows) — عام ١٩٠٨ — « وروزالند » (Rosa lind) عام ١٩١٢ — و « الوصية » (The Will) عام ١٩١٣ .

وعندما نشبت الحرب العالمية ، اهتزت مسارح لندن ، ثم استأنفت نشاطها ، تقدم إعادات من المسرح اليصاباتى والمسرح الكلاسى والسياسى ، ماكان يتناسب مع ظروف

الحرب ، أو كانت تقدم عروضاً درامية خفيفة ، ومنها الكوميديا ، والمهازل ، والاستعراضات الغنائية الراقصة ، والمتنوعات .

كتب جيمس بارى ، للمسرح التجارى الخفيف الذى فرضته الحرب ، ومن ذلك استعراض « الطرب الوردى» Rosy Rapture عام ١٩١٥ — لكنه كتب كذلك مسرحيات « قبلة لسندريللا » A Kiss for Cinderella — عام ١٩١٦ و « عزيزى بروتس » Dear Brutus — عام ١٩١٧ — و « السيدة العجوز تعرض أوسمتها » The old Lady shows her Medals التى ظهرت فى العام المذكور ثم « صوت معروف » A Well Remembered Voice فى أعقاب الحرب .

وأما مسرحياته ، فيما بين الحرب وعام ١٩٣٧ — فأهمها « مارى روز » Mary Rose و « هلا انضممنا للسيدات ؟ » Shall we Join the Ladies « والصبى داود » The Boy David.

وهكذا صرف سير جيمس بارى ، ما يقرب من الخمسين سنة ، بين الكتابة الصحفية ، والتأليف القصصى والروائى ، والتأليف المسرحى ، ولقى من معاصريه تقديراً كبيراً ،

فقد واتته الثروة منذ صدر الشباب ، ونال لقب البارونية الشرفى عام ١٩١٣ ، ووسام الجدارة عام ١٩٢٣ ، وانتخب عميداً لجامعة سانت اندروزوهو فى الثالثة والستين من عمره .

الحياة العامة فى عصره

ولكن كيف كانت الحياة العامة فى عصر جيمس بارى ؟

قضى جيمس بارى ، واحداً وأربعين عاما ، من عمره ، فى ظل الحكم الڤيكتورى الطويل . وعاصرأحداثاً تاريخية كبيرة ، وفنانين ومفكرين لامعين . غير أن أهم صفة للحياة العامة فى زمانه كانت صفة التغير والتحول . لقد كان عهد الملكة ڤيكتوريا ، مرحلة النهاية فى بناء الإمبراطورية البريطانية ، فممتلكات الإنجليز ، ترامت على خريطة العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، والأرباح الطائلة المغتصبة من هذه المستعمرات ، ملأت خزائن المصارف والبنوك ، والمواد الخام الوفيرة ، تكدست على أرصفة الموانى ، وفى مخازن المصانع ، وهيئ لغلاة المستعمرين أن الشمس لاتغيب عن الأعلام البريطانية المرفوعة فوق قصور حكامهم فى المستعمرات ، وأن البحار السبعة — كما قال شاعرهم رديارد

كيبلنج Rudyard Kipling — ستظل تلامس شواطئ الإمبراطورية إلى آخر الزمان .

وهيئ لنفر من الناس فى بريطانيا أن الحرية لن تطلع على ممتلكات صاحبة الجلالة . فبريطانيا ، كانت المصنع الأول فى العالم ، والمصرف الأول بين الدول وممتلكاتها الواسعة لايضارعها شيء فى كنوز الدنيا . وقبضة لندن على هذه المستعمرات فى تمام رسوخها .

وكان ذلك كله ، أدعى إلى انتشار روح القناعة الضحلة ، وضيق الأفق ، فالعالم — عندهم — عالم ثابت ، والحياة جامدة ، والأقدار انتهت بكل شيء إلى منتهاه :

* * *

غير أن الإمبراطورية الممتدة على سواحل البحار السبعة ، ما لبثت أن تعرضت لأنواع شتى من الأزمات ، فثمة دول جديدة شرعت تنافس بريطانيا على امتلاك الأسواق ، والمستعمرات ، وثمة حروب دامية ، وحملات عسكرية ، تبهظ كاهل الإمبراطورية ، وثمة صراع مرير يشنه شعب البوير فى جنوب أفريقيا . وشعوب وادى النيل فى مصر والسودان ، والشعوب التى تتألف من مئات الملايين فى الهند

وآسيا وسائر مستعمرات الملكة .

وأما فى داخل بريطانيا ذاتها ، فالأرباح الخيالية المغتصبة من الخارج ، قد بلغت النقطة التى لاتستطيع أن تتجاوزها ، بل إن شيئاً من أزمات البطالة المعروفة ، قد شرع يلوح فى الجو .

بل إن الفساد السياسى ليفوح ، ويملأ الأندية ويذيع بين الناس .

والحق أن فترة نهاية القرن ، كانت مرحلة الفضائح المالية والأخلاقية غير المسبوقة .لقد فاضت أعمدة الصحف فى ذلك الحين بحوادث الاحتيال والنصب والغدر ، التى كانت أشبه بحملات منظمة ، سقط فيها صغار المساهمين والجمهور ، صرعى البيوت المالية ، التى كان يديرها رجال لهم أسماؤهم ، ومناصبهم . ومن ذلك ما حدث لشركة ليبراتور للبناء عام ١٨٩٣ وانهيار شركة نيوزيلندة للتسليف عام ١٨٩٤ ، وإفلاس موسسة هولى عام ١٨٩٤

وكشفت هذه الفضائح المالية ، عن استشراء الفساد السياسى . فقد ثبت من التحقيقات،التى أجريت أن بعض قادة المحافظين والأحرار كانوا ضالعين فى التغرير بصغار المساهمين ،

وأن نفراً من كبار المسئولين فى الحكومة كانوا يتسترون على تلاعب هذه المؤسسات ، ثم كشف التحقيق عما هو أشنع : ذلك أن الحزبين الكبيرين ، اللذين كانا يتنازعان الحكم ، قد اتفقا على أن يستبعدا مسائل الفضائح المالية من دائرة الجدل السياسى . إذن — فالأحوال العامة ، لم تكن على غير ما يرام . بل كانت تؤذن بأحداث وتشير إلى تحولات.

* * *

فى ظل هذه الظروف العامة ، فاضت الحياة العلمية والفكرية بالقلق والمتناقضات .

فى ذلك العصر ، سجل العلماء انتصارات كبيرة ، تدعو إلى الوثوق بالعقل . لكن ما قيمة هذه المخترعات ، وما قيمة الأرباح المتدفقة على المصارف إذا كانت الأمة فى بريطانيا ليست واحدة ، وإنما هى أمتان (كما نقرأ فى رواية سيبل Sybil للورد بيكونسفيلد) .

وما قيمتها إذا كان التقدم ، يصيب بخيره قلة قليلة من الناس ، ولا يصل إلى الكثرة الكثيرة التى برع تشارلز ديكنز فى وصف شقائها ؟

وما قيمة الانتصارات العلمية ، إذا كان الذوق العام ،

يقاسى من ضحالة الوسائل الجماهيرية التى تمخضت عنها مبتكرات القرن التاسع عشر ؟

* * *

لقد عاصر سير جيمس ماتيو بارى ، ميلاد « الحاكى » و« البرق » و« الطيران » و« الكهرباء » . و« السينما » ، و« الإذاعة » و« الصحافة الحديثة » . هذه وغيرها من المبتكرات الخارقة ، واكبتها سلسلة كبيرة من التحسينات الميكانيكية ، والمخترعات الأخرى.

ولكن إلى أية نتيجة كانت تسير ؟

يحدثنا تاريخ الصحافة الحديثة — هذه الوسيلة الجبارة ذات التأثير القوى على الذوق العام — أن صحافة الإثارة الرخيصة ، ولدت وذاعت ، أثناء الفترة التى أنتج فيها جيمس بارى . فاللورد نورثكليف — مثلا — استطاع أن يطبع من أول عدد من جريدته الديلى ميل الصادر عام ١٨٩٦ ثلث مليون نسخة وبعد أعوام قليلة كانت هذه الجريدة ، تطبع أكثر من مليون نسخة .

ولورد نورثكليف وسير آرثر بيرسن صاحب الديلى اكسبريس وغيرهما من أصحاب الصحافة الحديثة ، لم يكونوا

يؤمنون بأن الصحف وسيلة تثقيف وتربية للذوق العام ، أو وسيلة تنوير ، بل كانوا يرون أنها وسيلة إمتاع وتسلية .

وكانوا يتوسلون إلى الربح بكل وسيلة ، يعقدون المسابقات وينظمون المراهنات ، ويركزون الاهتمام على الجرائم ، والفضائح والأخبار الشخصية والأخبار الصغيرة المهروسة .

وهكذا ، صورت صحافة نهاية العصر الفيكتورى ضحالة الذوق العام ، وميوله ، وبعدما كانت الصحف تهتم — قبل ذلك بنشر المقالات الجادة ، صارت تضيق بها .

وبعد ما كانت بعضها تذيع أوائل القرن ، تحمل إلى الناس ، آراء ويليام هازلت[1] ولى هنت [2] فى الدراما والتمثيل ، صار الكثير منها يتملق النوازع السوقية .

* * *

لكن صحافة الإثارة ، وروح الضحالة ، كانتا شيئاً واحداً من أشياء كثيرة تعتمل فى حياة بريطانيا لذلك العهد .

لقد عاصر جيمس بارى ، أدباء ومفكرون آخرون شغلوا بمشكلات العصر .

وعاصره أدباء ومفكرون ، نقموا على ضحالة الفكر ، ودمامة الذوق ، وتبلد الذهن .

---

(١) William Hazlitt. (٢) Leigh Hunt

كان من معاصريه ، من ينادى بالعقل ، وكان منهم عائدون إلى صوفية القرن السابع عشر ، كان منهم الذين يتشدقون بالعادات الحديثة ، وكان منهم دعاة البساطة فى السلوك .

كان بعضهم مفتونا بالحضارة الصناعية وبعضهم مفتونا بمذاهب الأقدمين ، كان منهم الذين يسرفون فى تمجيد النظم الاستعمارية ، والذين يسرفون فى نقدها والحملة عليها ، كان منهم محافظون وأحرار ، وعمال واشتراكيون ، وفابيون ، وعدميون لايؤمنون بشىء .

هو — إذن — عصر يتفجر بالاتجاهات المختلفة .

عصر ، تأزمت فيه روح القناعة الڤيكتورية .

فكيف يكون المسرح فى مثل ذلك العصر .

اتجاهات المسرح : حمل المسرح شتى هذه الاتجاهات وضم أنواعها .

كانت دراما المشاكل ، أهم ظاهرة فى المسرح الحديث الذي بدأ بكتابات طوم روبرتسون Tom Robertson (١٨٢٩ — ١٨٧١) ومنها مسرحيات « المجتمع » Society و « مدرسة » School ودراما المشاكل هذه تطورت .

أواخر القرن على أيدى سير آرثر بنرو[١] (١٨٥٥ — ١٩٣٤) مؤلف « مسز تانكرى الثانية »[٢] و « اللورد كوكس المرح »[٣] و« إيريس » [٤] وكذلك هى تطورت فى كتابات هنرى آرثر جونز[٥] مؤلف « قديسون وعصاة[٦] » ، و « الكذابون » [٧] و« دفاع مسز دين » [٨] .

لقد أظهرت الحركة المسرحية أن نفراً من الأعلام يعطون أهمية خاصة للمشكلات العامة التى فاضت عن عصر ڤيكتوريا واستشرت بعد ذلك العصر ، فهذا هو جورج كالدرون[٩] (١٨٦٨ — ١٩١٥) يسخر من الطريقة البريطانية فى الإحسان وذلك فى مسرحيته « النافورة[١٠] » وهذا هو جون جولزورثى[١١] (١٨٧٦ — ١٩٣٣) لايدعى

Sir Arthur Pinero (١)

The Second Mrs' Tanqueray (٢)

The Gay Lord Quex (٣)

Iris. (٤)

Henry Arthur Jones. (٥)

Saints and Sinners (٦)

Liars (٧)

Mrs Danes Defence. (٨)

George Colderon (٩)

The Fountain (١٠)

John Galsworthy (١١)

أنه يتخذ موقفاً فلسفياً أو سياسياً أو اجتماعياً من مشكلات عصره ، لكنه يجعلها محور مسرحياته . فهو — كما يقول آلارديس نيكول — « مهتم بالمجتمع ومهتم بالإنسان ومنهما يستنبط روح المأساة » ولقد تناول جولز ورثى بالنقد الجرىء سلوك مواطنيه : وجهاء وفنانين وسوقة ، وتناول بالنقد ، الأفكار الثابتة والخاطئة التى كانت منتشرة بين الإنجليز .

ثم هذا هو جورج برنارد شو (١٨٥٦ — ١٩٥٠) يعارض الرومانسية بالواقعية ويحول المسرح إلى « مصنع للأفكار ومنبه للضمائر ، ومرشد للسلوك الاجتماعى ، وترسانة ضد تبلد الأذهان ، ومعبد لتطور الإنسان » يسخر من أخطاء مجتمعه أمر السخرية ، ويصارح الناس بأن للمسرح وظيفة دعائية ، فى بث الأفكار ، فكأن المسرح بين يديه منبر من منابر الفابيين ، وكأن المسرحية ذاتها تكملة للنشرات التى كان يصدرها .

وكان من معاصرى سير جيمس بارى ، من يكتب روايات تاريخية « بأساليب واقعية شديدة التركيز » وذلك هو جون درينكوتر[1] مؤلف مسرحية « ابراهام لنكولن »[2] التى أعادت إلى الأذهان مسرح التاريخيات اليصاباتى .

John DrinKwater (١)

Abraham Lincoln (٢)

وكان منهم من يكتب المسرحية الشعرية ، يقارن بين تقاليدها وبين الحياة الجارية ، ومثلنا فى ذلك ، لاسال ابركرومبي[1] مؤلف رواية « ديبورا »

ولو شئنا الاستطراد إلى أنواع وأسماء أخرى ، لوجدنا أنفسنا فى زحمة من كتاب الطبقة الأولى ، والطبقات التالية ، ذلك أن المسرح الحديث ، امتد – تحت تأثير إبسن – إلى معالجة المشاكل الاجتماعية ، وامتد تحت تأثير المسرح الفرنسى . وتأثير التقاليد المحلية فى الدراما ، إلى مجالات كثيرة .

لكن من المتفق عليه ، أن هذه الأنواع جميعاً تقع تحت قسمين : مسرح المجتمع ، والمسرح المسرحى . أما مسرح المجتمع . فهو هذا الذى بدر فى دراما المشاكل على يد پنيرو وارثر جونز ، وتأكد بترجمات وليام أرثر[2] لروائع إبسن ، ثم رسخ بين يدى الكاتب الواقعى جولزورثى واتخذ سمته بين يدى برنارد شو ، علم دراما الفكر.

المسرح المسرحى : وأما المسرح المسرحى ، فهو هذا الذى ركز الاهتمام على ناحية المتعة الفنية ، وعنى أشد العناية

---

(١) Lascelles Abercrombie

(٢) William Archer

بالشكل ، والأسلوب ، والاستيلاء على عواطف النظارة وإثارة خيالهم .

هذا النوع من الدراما ، لايعالج مشكلات عصره ، ولايتعرض لصراع الأفكار من حوله ، وإنما هو يهتم بتجويد الصنعة المسرحية ، ذلك أن المتعة الفنية غايته .

وفى تاريخ العصر الإدواردى — ونهاية العصر الڤيكتورى قبل ذلك — نجد أن مؤرخى المسرح ونقاده ، يتحدثون عن هذين النوعين المتميزين ، ونجد أنهم يتابعون فروع المسرح المسرحى ، فإذا هى تشمل الكوميديا الغنائية ، ثم تمتد حتى تنتهى إلى العروض التى يختلط فيها التمثيل بالمتنوعات .

مسرح جيمس بارى: فأين يقف سير جيمس ماتيو بارى من التيارات الفكرية التى عاصرها ؟ وأين مكان مسرحياته من الحركة المسرحية التى يعتبر أحد رجالها ؟

لقد ذكرنا مثلا دراما المشاكل ، وقلنا إنها كانت تتناول موضوعات تجرى فى الحياة . ونضيف هنا أن هذا اللون من التأليف المسرحى . كانت له نظائر وسوابق التأليف الروائى ، فكتابات تشارلز ديكنز الغزيرة ، تؤرخ

على نحو من الأنحاء هذه البيئة الخشنة التى عاشها الكافة ،
فالصلة — إذن — بين الكتابة المسرحية ، التى ارتادها
جولزورتى — وبين الكتابة الروائية التى ارتادها تشارلز
ديكنز صلة موجودة ، ومتسمة بالاتساق .

وشيء من هذا نجده بين دعاة الجمال الفنى ، فإذا
قرأنا جون رسكن — مثلا — رأيناه ينتقض على الجبن والتردد
والخور والقبح ، ويرى ذلك كله من صفات الحياة الصناعية
التى تفيض كل يوم بالدمامة والتبلد ويرى أن استرداد
الإحساس بنقاء العاطفة ، واسترداد الإحساس بالجمال ،
إنما يكون بالرجوع إلى ثقافة العصر الوسيط ، وبخاصة فن
العمارة .

وجاء بعد رسكن من يتأثرون بدعوة الجمال ، والفن
للفن ، وتبدو ثمة رابطة بين هذا المذهب ، وبين منهاج
أديب كبير مثل أوسكار وايلد .

بل لقد تأثرت دعوة الجمال الفنى ، دورية خاصة اسمها
« الكتاب الأصفر » كانت تصدر فيما بين ١٨٩٤ و ١٨٩٧ .

فإذا رجعنا إلى مسرح جيمس بارى ، ألفيناه مختلفاً عن
مسرح المجتمع ، وألفيناه مختلفاً عن مسرح دعاة الجمال الفنى

الذى نعرف ، إنه يحمل فى كتب تاريخ الأدب اسم : الأدب المنحل .

وألفيناه كذلك مختلفاً عن رومانسية ابروكرومبى ودرنيكوتر .

غير أن تميزه أو قل اختلافه عن المسارح الأخرى ، لايعنى أنه منفرد دون سائر هذه الآثار الدرامية ، بصفات خاصة ، غير مشتركة بينه وبينها :

الحق أن التشاؤم الذى يتردد فى مسرحيات بارى ، عنصر فكرى عام ، ساد نهاية القرن ، وطبع غير قليل من أدب العصر الڤيكتورى ، وأدب العهد الإدواردى . .

والحق كذلك أن الغاية التى تنتهى إليها مسرحيات جيمس بارى — وهى المتعة الفنية — كانت غاية المسرح المسرحى .

والحق ثالثاً ، أن سير جيمس بارى ، مولع « بالتكنيك » المسرحى ، وهذا الولع الشديد ، يدخله مرة أخرى ، فى عداد أنصار المسرح المسرحى .

وأهم من هذا كله . أن جيمس بارى ، لم يعمد إلى علاج المشاكل الاجتماعية ، كما فعل جولزورثى ، ولم يعمد إلى المناقشات الفكرية كما صنع برناردشو ، بل عمد إلى تقديم موضوعات تخلب خيال الجمهور ، وخلق منها دراما

جيدة البناء ، تصمد لمقاييس النقد الشكلية ، هذه هى النظرة العامة إلى مكانته بين المدارس التى عاصرها وأنتج فى زحامها .

أما خصائصه الفنية ، فأظهرها قوة التصور .

يقول آلارادايس نيكول — أستاذ الأدب بجامعة لندن — إن بارى يهدف إلى أن يستلب العقول . ويفتنها بالخيال والتصور ، وأنه يصل إلى هدفه ذالك عن طريق مزج الخيال بالحقيقة .

ونقرأ للناقد ترين أن « بعض مسرحيات بارى تبدو لنا كرؤية طفل صحا من النوم بعد ليلة مليئة بالأحلام المزعجة ولكنا نميل إلى نسيان الفزع ، لنذكر الخيال » .

ونقرأ عنه ، كذلك ، أنه ساحر كبير ، يجعل النظارة يتنكرون لعقولهم ، ويندمجون فى العالم الخيالى الذى توحى به مسرحياته .

ونقرأ أنه كان يبث التشاؤم — أعمق التشاؤم — تحت هذه الأخيلة المزخرفة .

فإذا قرأنا له مسرحية « عزيزى بروتس » لمسنا على الفور كم هو بارع فى خلط الواقع بالخيال ، وكم هو متشائم

أيضاً ، وكم يختار من الأحداث الممكنة الوقوع ويلحمها بأحداث مستحيلة الوقوع . ثم أى أثر يتركه فى نفوسنا حتى لنتذكر – ونحن نقرأه – قصص الجان ، وعالم العفاريت .

مسرحية « عزيزى بروتس » :

والآن ماذا عن مسرحية « عزيزى بروتس ؟ تعتبر هذه المسرحية . خير ماكتب سير جيمس بارى فى سنوات الحرب العالمية الأولى . وتعتبر كذلك – مثالا جيداً لطريقة بارى فى مزج الواقع بالخيال ، والسخرية بالخبث وبث التشاؤم فى ثنايا الأحداث الدرامية . وأما موضوعها ، فيدور حول جماعة من الساخطين رجالا ونساءً ، التقوا فى بيت العجوز الغريب الشاذ « لوب » ، وعرفوا أن هذا العجوز استضافهم فى أسبوع نصف الصيف ليذهبوا إلى الغابة الخيالية ، التى تظهر مرة كل سنة ، وتتيح لمن يدخلها أن يحصل على فرصة ثانية فى الحياة . وينال ما يتمنى ، ويحقق ما فاته فى حياته . وفى الفصل الثانى نراهم جميعاً – عدا لوب وشخصية أخرى – داخل الغابة يباشرون أمانيهم ، فإذا كان

الفصل الثالث ، عادوا من التجربة . وعادوا سيرتهم الأولى .

تبدأ المسرحية . بجو غريب ، لاهو من الواقع ، ولا من الممكن الوقوع ، ولاهو من الجو الذى نتصوره فى حكايات العفاريت ، وإنما هو جو خيالى ممزوج مزجاً غريباً . يتألف من تصرفات عادية ما يلبث أن يصبح سلوكاً غير عادى . ويتألف من فقرات واقعية ، لا تلبث أن تندمج فى فقرات خيالية . فبيت « لوب » مثلا . وضيوفه . وخادمه . والأثاث الذى فيه ، والحوار الأول الذى يجرى بين أبطال الرواية . كلها أشياء ظاهرها أنها تتعلق بالحياة ، حتى ولو كانت حياة هؤلاء الساخطين الذين نسمع منهم أنهم يؤمنون بالخرافات .

غير أن هذه الأشياء كلها ، تؤدى وظيفة التمهيد للحدث الأكبر ، وهو ظهور الغابة الخرافية ، وذهاب أبطال المسرحية إلى أعماقها ، ليعيشوا حياتهم من جديد .

ونحن لانحس أن المؤلف يفتعل الانتقال من المحسوس إلى إلى الخرافى . بل يمهد له من أول سطور الرواية . فى الإرشادات المسرحية — للمشهد الأول نقرأ :

« المنظر حجرة مطفأة الأنوار تكشف عنها الستار خلسة

بحيث لو كان على خشبة المسرح فأر لبقى حيث هو ، وهدفنا من ذلك هو أن نفاجئ الشخصيتين الرئيسيتين على المسرح من حيث لا تشعران وهما الظلام والنور» .

وبهذا الظلام المخيم على المسرح ، يبدأ الجو المسرحى . ثم تظهر على الدرج الخلفى أشباح ، وقبل أن تضاء الأنوار ، يستطيع من أوتى حظاً كبيراً من الخيال أن يسمع صوتاً خافتاً عجيباً يسرى بين الأزهار فى الحديقة » .

ويسمع الجمهور بالفعل ، صوتين بشريين يتحدثان ، أحدهما يقول لصاحبة الصوت الثانى :

لاتغلقى الباب فأنا لا أرى موضع مفتاح النور .

ثم تضاء الأنوار ، وتجرى حادثة تمهيدية مثيرة ـ فالنساء يطلبن من الخادم أن يرسل برقية . ثم تطلب « أليس » إليه أن يقرأ البرقية بصوت عال ، فإذا هى مرسلة إلى مركز البوليس للقبض على الخادم ـ قارئ البرقية فى الوقت نفسه « بسبب سرقة عدد من الخواتم » .

هذه هى الزاوية ، التى يدخل منها أبطال المسرحية إلى الموضوع الرئيسى ـ مسرح مظلم ، وأصوات خافتة ، وأشباح ، واتهام مثير للخادم بسرقة الخواتم ، ثم حديث سريع عجيب عن الغابة الخيالية .

فإذا فحصنا الطريقة التي يصور بها سير جيمس شخصياته — سواء عن طريق السرد الوارد في الإرشادات المسرحية ، أوعن طريق الحوار الذى يجرى على ألسنتهم أو عن طريق سلوكهم ذاته — لوجدنا أن سير جيمس بارى ، يصنع من هذه الشخصيات مزاجاً غريباً ، غرابة الجو العام للمسرحية — ولعله بهذا ، يريد أن يقيم نوعاً من الاتساق بين سلوك الإنسان الذى يضعه على المسرح . وبين الجو الدرامى الذى ينسجه أثناء المسرحية ، وينشره حول الشخصيات .

الخاصية الأولى إذن في هذه المسرحية . هى القدرة الكبيرة على مزج الخرافة بالواقع الملموس .

وأما الخاصية الثانية ، فهى نبرات السخرية . التي ترن طوال الفصول الثلاثة ، ثم تتجمع وتشتد في مشاهد عودة الأبطال من الغابة .

كان هؤلاء الأبطال ، قد قاموا بمغامرة غير مأمونة النتيجة ، فذهبوا إلى الغابة الخيالية ، عند ظهورها ، يريدون أن يغيروا حظوظهم من الحياة ، ويحققوا أمانيهم ، وكانوا قد عاشوا (الفصل الثاني كله) كما شاءوا .

وفى الفصل الثالث ، يعودون إلى بيت « لوب » ، واحداً واحداً ، وهم فى غيبوبة ، وتبدأ المفارقات الكوميدية ، حين يفيق بعضهم ، ويأتى الآخرون ، وهم يتصرفون على أساس أنهم مازالوا فى الغابة .

تجرى مفارقات قوية ورقيقة ، فالزوج لايدرى أنه زوج ، والعاشق يتنكر لعشيقته ، والعائد لتوه من الغابة ، ينتبه على غرابة ثيابه !

والحوار ، والحركة ، والأوضاع المسرحية جميعاً ، تؤلف مشاهد مليئة بالحيوية ، قائمة على سوء التفاهم .

وسير جيمس بارى هنا يسخر سخرياته الخبيثة من العلاقات والمظاهر ، التى نراها فى أول الرواية ، قائمة بين زوج يخاف أن يفتضح أمره مع عشيقته ، وسيدة كريمة تستبد بخادم ، وفنان عربيد يعترف لزوجته بأنه المذنب والمسئول ، فإذا جاءوا من الغابة ، تنكر كل واحد منهم لما قال وفعل فى الفصل الأول . وكأن المؤلف يريد أن يظهر — عن طريق السخرية — المفارقات الكوميدية التى يخلقها النفاق الاجتماعى ، ومداراة الأخطاء .

غير أن سير جيمس بارى ، لايصنع هنا صنيع رجل مثل برنارد شو .

هو لايبث آراء محددة ، وبأسلوب دعائى مباشر . وهو لايهاجم ظاهرات اجتماعية ويرشد إلى بديلها .

وإنما هو يعبث بأبطاله ، عبثاً خفيفاً ، فنحس أنه يسعد بهذا العبث .

لقد اعتمد سير جيمس بارى ، فى تركيب مسرحيته على رواية قصة ممتعة . وذاك شأن الغالبية من مؤلفى الدراما فى العهد الإدواردى .

اهتم بالأحدوثة المسرحية ، أكثر من اهتمامه — بنمو الشخصيات وتطويرها واستخدم لذلك إرشادات مسرحية طويلة ، وضع فيها عبارات غامضة توحى بالجو الغامض .

مثال ذلك السطور الأولى فى الرواية ، التى نقرأ منها أن الحجرة « تبدو معتمة شديدة العتمة حتى كأنها غير مرئية ومع ذلك تظهر من وراء تلك العتمة أبواب شرفات ، تتراءى من خلالها حديقة لوب رب البيت وقد غيرها ضوء القمر . . . . »

ويستطرد قائلا :

« ويرى ضوء القمر يتنقل متسللا بين زهور الحديقة ، كأنما يهمس إليها بالتعليمات الأخيرة ومع كل همسة يفتر ثغر كل زهرة يبسمة فيها النذير »

ثم يقول :

« على أن ما نتوقع حدوثه بعد ذلك هو أن يتقدم ضوء القمر فيفتح النوافذ بهدوء ليهمس بشىء إلى أحد شركائه الضالعين معه من أهل البيت واسم هذا الشريك هو « لوب »

وإذا دخل لوب المسرح ، كتب سير جيمس فى الإرشادات ما يلى :

« لوب رجل قمىء ضئيل الحجم جداً ولايكاد يوجد فى العالم كله رجـل على شاكلة لوب فعلى وجهـه من آثار الشيخوخة ومرور السنين مالانظير له أبدا إلا ما يبدو أحياناً على وجوه بعض الأطفال حديثى الولادة .

إن الأثر الذى يتركه فيمن يراه ، هو الأثر الذى تتركه الأشياء الجوفاء . أنبوبة دقيقة أو كرة من المطاط ليست منفوخة تماماً بالهواء . لواصطدمت بجسم صلب لارتدت عنه ارتداداً ضعيفاً » .

وكل الإرشادات المسرحية ، فى التمثيلية على غرار هذا المثال ــ الأمر الذى يحملنا على الاعتقاد بأن الكاتب ، كان معنياً بخلق الجو العام للرواية . أكثر من عنايته بإبراز التطورات النفسية عند أبطالة ، وأكثر من عنايته بمتابعة التطورات السلوكية بعامة .

* * *

على أن سير جيمس بارى ، يخلط هذا الجو الخيالى ، الغامض – شيئاً – بنبرات عاطفية ، يواتيها النجاح أحياناً فتكون رقيقة (كالمشاهد المعقودة بين الفنان ديرث وابنته المفترضة مارجريت حين تحققت النية أن يكون له ولد ، فقابل مارجريت فى الغابة .

أو يزيد سير جيمس بارى ، جرعات العاطفة فى مشاهد أخرى ، فنحس بأنه يصطنع هذه النبرات (كمناجاة لوب الغريب الشاذ لزهراته وقد وقعن على الأرض) .

ونحن نعلم أن افتعال المواقف العاطفية ، ليس شيئاً غريباً على الذوق الفيكتورى والإدواردى ولكنا نعلم كذلك أن مسرح المجتمع ، لذلك العهد ، كثيراً ما تخلص من هذه النبرات .

* * *

وبعد : فلماذا اختار سير جيمس بارى اسم « عزيزى بروتس » عنواناً لمسرحيته ؟

فى الفصلين الأول والثانى ، لا نسمع كلمة بروتس . فإذا ارتفع الستار عن الفصل الثالث ، وشرع الأبطال يعودون من الغابة ، حدثت لحظات من التأمل والمقارنة : مقارنة واقع الحياة بالأمانى . مقارنة الفرصة التى تتاح لنا مرة واحدة فى العمر ، والفرصة الثانية التى أتاحها المؤلف لأبطاله .

وأثناء المشهد الذى يجرى بين « بيردى » — ذئب النساء — وبين زوجته وعشيقته ، نسمع بيردى يقول :

« تنقصنى الحاسة التى تحذر الإنسان فى الوقت المناسب. شخصيتى كلها منحلة متعفنة . لقد كان شكسبير يعنى ما يقول حين قال : ليس العيب يا عزيزى بروتس عيب الحظ ولكن العيب فى أنفسنا »

وهذا المعنى ، يوحى لنا بشيئين : أولهما أبيات الشعر التى جاءت على لسان كاسيوس فى رواية يوليوس قيصر لوليام شكسبير . والتى تقول : أيها العزيز بروتس . إن الخطأ ليس فى النجوم التى تسيطر على حظوظنا بل هو فى داخل نفوسنا » .

والشىء الثانى هو شخصية بروتس نفسه ، فى تلك الرواية :

وكل ذلك ، يجعل فكرة « الفرصة الثانية » — وهى محور المسرحية — تبريراً كافياً لاتخاذ اسم عزيزى بروتس عنواناً عليها .

قد يريد المؤلف ، من هذا الاسم ، أن يعيد إلى الأذهان ، المعنى الشهير الذى جاء على لسان كاسيوس كما قلنا ، أو لعله

يريد أن يوحى إليهم بأن المصير الفاشل الذى لقيه بروتس فى تمثيلية « يوليوس قيصر » هو عينه مصير كل من يحاول أن يجرب الفرصة الثانية — ذلك أن الخطأ ليس فى الأقدار التى تسيرنا . وإنما هو شىء موجود فى أعماق نفوسنا .

والحق أن الفصل الثالث كله يعتمد على إبراز هذه الفكرة ، فنى زحام المواقف الكوميدية التى انتظمها هذا الفصل ، تبطئ الحركة ، ويتخذ الحوار مجرى التأمل والتساؤل : من الذى يصنع حياتنا ؟ هل هى الأقدار ؟ هل هى الصدفة ؟ أم أنه شىء آخر؟ وإذا كان الذى يصنع حياتنا شىء فى نفوسنا فهل نستطيع أن نبتره ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ومن هم الموعودون بالتغلب على هذا الشىء المولود معنا ؟ هل هم سائر الناس أم بعض الناس ؟ أم آحاد قلائل من الشجعان ذوى العزائم ؟

ونحن ننقل سطوراً كاملة من هذا المشهد . لنتبين وجهة نظر المؤلف .

يقول پيردى : ليست الصدفة هى التى تصنع حياتنا .

چوانا : كلا . إنه القدر .

پيردى : إنه ليس القدر . القدر شىء خارج على نطاقنا ؛

إن ما يعيث فينا فساداً هو شيء داخلي كامن فى نفوسنا . شيء يجعلنا نقع فى نفس الأخطاء ونرتكب نفس الحماقات، مهما أتيح لنا من الفرص أن نتفاداها .

ميبل : شيء فى نفوسنا ؟

پيردى : شيء يولد معنا .

چوانا : ألا نستطيع أن نستأصل هذا الشيء البشع ونلقى به بعيداً ؟

پيردى : هذا بالطبع يتوقف على مدى تساهلنا معه .
ونقرأ فى موضع آخر من المشهد نفسه .

چوانا : هل معنى هذا أن لدينا القدرة على تشكيل أنفسنا ؟

پيردى: لاشك أن لدينا الكفاية منها .

چوانا : ولكن ألا يعتبر هذا شيئاً رائعاً ؟

پيردى: نعم . هو أمل عظيم للشجعان الذين يجدون فى أنفسهم الإرادة والشجاعة .

* * *

خلاصة هذا كله ، أن الناس يولدون فيولد معهم شيء بشع ، يستقر داخل نفوسهم . يبعثهم على الخطأ ، ويفرض

عليهم سلوكهم ، وليس ينفع مع هذا الشيء البشع ، أن تنال فرصة ثانية ، فنحاول تغيير مصائرنا .

هذه هى القاعدة العامة — غير أن بعض الناس ، أوقل إن آحاد الناس ، من الشجعان الذين يجدون فى أنفسهم الإرادة أو الشجاعة . يستطيعون أن يشكلوا أنفسهم كما يشاءون ؛

* * *

بمعنى آخر : كل النـاس يرتكبون ما يرتكبون من أخطاء ، بدافع من الشيء البشع المركب فى نفوسهم .

وبعض الناس يستطيعون أن يتغلبوا على هذا الشيء البشع . هذا الموقف الفكرى يدعونا إلى مناقشة أمرين ، أولهما : روح التشاؤم التى تبدو من المسرحية . والأمر الثانى : موقف بارى من القوة الخارجية على النفس البشرية .

وأما روح التشاؤم فنلمسها فى الأثر النهائى : الذى تتركه المسرحية ، فى النفوس . ذلك أن محاولة البدء من جديد ، أومحاولة استخدام المخطئ لفرصة ثانية ،لافائدة منها .

ونلمس هذه الروح من العبارات التى تتوالى على ألسنة الأبطال ، فهم يؤمنون بالخرافات ويضيقون بالحياة ، أكثرهم يظهر غير ما يبطن ، نفوسهم خبيثة على الغالب ، وثقتهم بالحياة والمستقبل ، فى عداد الهباء .

ويناسب هذه الروح ، ما يبثه سير جيمس بارى ، من جو مفزع فى بعض المشاهد ، فلا ريب أن ظهور الغابة السحرية فى الفصل الأول ، يهز النفس شيئاً .

وأما موقف جيمس بارى من القوة الخارجة على إرادة الإنسان . فيضع سير جيمس ، بعيداً عن دائرة المسرح الاجتماعى – ذلك أن إبسن وشو ، ووليام أرثر ، وبينيرو ، وجولزورثى ، يظهرون فى أعمالهم الأخطاء الموجودة فى البيئة والحياة .

هم يعالجون مشكلة القدر على نحو جديد .

كان القدماء يرون أن المأساة تتوالى من فعل الأقدار .

وأما مؤلفو مسرح المشاكل ، والمسرح الاجتماعى ، فقد استبدلوا المجتمع بالأقدار .

وجاء سير آرثر بارى ، فاستبدل الشىء الشنيع فى نفوسنا ، بقوة المجتمع ، وقوة القدر.

وقد ينظر البعض إلى موقف بارى هذا ، على أنه يساعد على مداراة الأخطاء والتناقضات التى فاض بها عصره ، والتى تناولها كتاب الرواية من أمثال ديكنز ، وكتاب المسرحية من أمثال شو .

غير أن مسرح بارى ، لايزعم أنه مسرح فكر ، أو

مسرح مشاكل ، أو مسرح مجتمع ، وإنما هو مسرح المتعة الفنية ، وعمل من أعمال الفن للفن ، وغاية هذه الأعمال ، أن تطلب إلى النقاد محاسبتها على أساس وظيفتها الدرامية البحتة ، وعلى أساس « تكنيك » المسرح ، قبل أى أساس آخر .

إن الشيء المسلم به ، أن سير جيمس بارى ، قد حقق بمسرحية « عزيزى بروتس » عملا فنياً له سمته ، وقوامه ، وله قدرته على الإمتاع . هذا الأمر الذى كتب للمؤلف نفسه أن يكون علما فى فنه ، أثناء تلك الفترة الحافلة بكبار الكتاب والأدباء ، والتى رأت موم ، وترجمات إبسن ، وترجمات تشيكوف ، ومسرحيات شو ، وپينيرو ، وأرثر جونز ، وجولزورثى ، وسينج ، وأوسكار وايلد .

لقد مات بارى عام ١٩٣٧ ، لكن المسارح ظلت تقدم بعض رواياته إلى مواسم قريبة ، وذلك يعنى أن مسرحية « عزيزى بروتس » مثلا عاشت — حتى الآن — ما يزيد على الأربعين سنة .

وأما مستقبل هذا النوع من المسرحيات فالزمن كفيل بالفصل فيه ! وهو كفيل إما بأن يحقق نبوءة سمرست موم ،

الذى قال إن المسرح سيعود مرة أخرى إلى الدراما الشعرية ، وإلى الكوميديا الأليصاباتية — وكوميديا جيمس بارى تذكرنا بها — أو لعل الزمن يحقق نبوءات الدراميين المحدثين الذين يقولون إن الأيام الآتية لن تتسع لمثل الأعمال التى شهدناها فى العصور الكلاسية ، بل ولا تلك التى فاضت عن العصر الڤيكتورى والإدواردى .

رشدى صالح

[المنظر حجرة مطفأة الأنوار ، يكشف عنها الستار خلسة ، بحيث لو كان على خشبة المسرح فأر لبقى حيث هو لا يزعجه شىء . وهدفنا من ذلك ، هو أن نفاجئ الشخصيتين الرئيسيتين على المسرح من حيث لا تشعران ، وهما : الظلام والنور .

تبدو الحجرة شديدة العتمة ، حتى كأنها غير مرئية . ومع ذلك فتظهر من وراء تلك العتمة نوافذ فرنسية ، تتراءى من خلالها حديقة السيد « لوب » رب البيت وقد غمرها ضوء القمر . والحجرة والحديقة كلتاهما ؛ ترمزان إلى الظلام والنور . ويخيم فوقهما سكون تام لا نسمع فيه حركة ولا حس . ولكننا لا نملك إلا أن نشعر أن هذا السكون ليس إلا السكون الذى يسبق العاصفة ، والذى يرمق فيه الأعداء الألداء بعضهم بعضاً قبل وقوع الاشتباك .

ويرى ضـــوء القمر يتنقل متسللا بين زهور الحديقة ، كأنما يهمس إليها بالتعليمات الأخيرة ومع كل همسة يفتر ثغر كل زهرة ببسمة فيها النذير للآدميين العابثين فى الظلام . على أن ما نتوقع

حدوثه بعد ذلك ، هو أن يتقدم ضوء القمر فيفتح النوافذ بهدوء ليهمس بشيء إلى أحد شركائه الضالعين معه من أهل البيت . واسم هذا الشريك هو « لوب » . ومع تأكدنا من أن هذا هو ما يوشك أن يحدث ، فهو لا يحدث ، ويحول دون حدوثه : صدور حركة خفيفة من الأشخاص القابعين فى الظلام .

أما هؤلاء الذين لم تخامرهم ريبة ما ، فكانوا فى قاعة الطعام ، ونحن نسمعهم منهمكين فى لعبهم حين ينفتح باب الغرفة المفضى إلى قاعة الطعام ، وعند المدخل المضيء تظهر عدة أشباح قاتمة وقد توقفت فى تردد ، عند الدرجتين المؤديتين إلى حجرتنا المطفأة الأنوار . ويمكن لمن أوتى منا خيالا واسعاً ، أن يتسمع فى اللحظة نفسها إلى صوت خافت عجيب يسرى بين الأزهار فى الحديقة . لقد بدأ الاشتباك إذن ، وإن كان على غير ما أردنا] .

* * *

[أصوات]

— هيا . ياكودى ! تقدمى أمامنا .

— رباه ! لا أرى هناك سبباً لأن أكون أنا فى المقدمة .

— أظرف الحاضرات ، هى التى تتقدم الصف دائماً .

— لو كنت أظرف من فى هذا البيت ، فإنه يكون بيتاً عجيباً .

— إنه بيت عجيب بالفعل .

ـــ لا تغلقى الباب ، فأنا لا أرى موضع مفتاح النور .

ـــ إنه هنا .

[وكانت المتحدثات يتلمسن طريقهن إلى الأمام ، وهن يتخبطن فى الظلام فى غبطة الغافلات عما سيتعرضن له مرة أخرى من تخبط مزوّع قبل أن ينقدم الليل . تعثر إحداهن على مفتاح النور ، وتسبح الغرفة فى ضوء باهر . نشعر بأن الحديقة قد انكمشت وتراجعت خطوة إلى الوراء ، كما لو كانت قد انهزمت من أول لقاء ، ولكنها فى الواقع لم تنهزم ، بل ما زالت رابضة تتربص .

وهكذا فجأة ، تتكشف لنا الحجرة البادية البساطة ظاهرياً ، لنراها تضاهى فى أثاثها بالنسبة لرجل أعزب أية حجرة استقبال مناسبة فى بيت ريفى جميل . ولنراها تزخر بالكثير من اللمسات النسائية الخفيفة التى غالباً ما يفتن الرجل فى إبداعها . أجل ؛ لا نرى فى الحجرة ما يشعر بالعداء للسيدات اللهم إلا تلك الزهور المجلوبة من الحديقة . ذلك أن من المحتمل أن تكون هذه الزهور متواطئة مع الحديقة ضدهن . وقد يكون فى المدفأة أيضاً ما يريب ، فهى منحوتة فى قلب جدار حجرى سميك لعله كان قائماً قبل بناء الجدران الأخرى . والمرجح أن ركن المدفأة ، هو بمثابة الكهف الذى يلجأ إليه « لوب » رب البيت ، عندما يخلو إلى نفسه ، يجلس لوب ليحدث نفسه بين أطباق الدخان الأزرق المتصاعد من المدفأة . و « لوب » يحس بألفة شديدة مع ركنه هذا الحبيب ، تماماً كما يحس أى عفريت مختف فى غياهبه . ولوب يؤثر ركن المدفأة على كل مكان آخر فى الحجرة ، وكان حين يرمقه وهو فى طريقه وحيداً إلى فراشه ، يصعّد له النظر طويلا ،

وفى حسرة قبل أن يطلق ضحكة لنفسه لتدل على المضض وعدم الارتياح .

كان فى الحجرة خمس سيدات ، إحداهن فقط هى التى تجاوزت سن الشباب ، وهى مسز كود . وهى أيضاً التى وصفها الصوت الذى سمع فى الظلال بأنها أظرف الموجودات وهى بالفعل أكثرهن ظرفاً ، وإن كان الصوت الذى أنبأ بذلك ، لا يُعد حجة فى هذا الموضوع . معارفها يطلقون عليها اسم « كودى » ويطلقون الاسم نفسه « كودى » أيضاً على زوجها ، حتى اعتادت هى وزوجها بعد سنوات طويلة ، أن يقوم أحدهما مقام الآخر عندما يوجه إليهما نداء . كودى هذه ، عجوز ممتلئة الجسم : وتتمتع بابتسامة مشرقة لازمتها منذ طفولتها . ولو عاشت كودى حتى المائة ، لزعمت لموظف الإحصاء العام ، أن سنها هو فقط تسع وتسعون . وفيما عدا ذلك ليس فيها شىء يعيبها . وإن كان فيها عيب ما ، فقد تكفلت حياتها الوادعة بإصلاحه أو مداراته . وليس لديها ما تشكو منه من « كودى » الزوج ، إلا أنه نسى تماماً أمر زوجته السابقة . وتلك لعمرى شكوى غريبة إلى حد ما . فلم يحدث قط ، أن تعرفت مسز كودى بتلك الزوجة الأولى . ومع ذلك فقد كانت تجد نفسها أحياناً ، تتطلع إلى صورتها ، وكانت هى التى تحتفظ بهذه الصورة فى المنزل . كما تحتفظ ببعض آثارها أيضاً ، مثل خصلة من شعر كستنائى . ومما لاشك فيه أن كودى الزوج هو الذى كان يبقيها فى حوزته ، وكان يحرص عليها فى الماضى ، ولكنه الآن نسيها تماماً . هذا وكانت الزوجة الأولى مصابة بعرج خفيف فى قدمها . وكان من عادة الزوج – طيلة حياتهما الزوجية القصيرة – أن يهرع إليها كلما جلست ، فيقرب منها مسنداً لقدمها لتريحه عليه ، وقد بلغ

من تأصل تلك العادة فيه ، أنه بعد أن تزوج من صاحبتنا مسز كودى الحالية ، لا يزال يهرع إليها بمسند القدم كأنها هى الأخرى عرجاء ، بالرغم من أنه قضى معها ربع قرن من الزمان . وقد عرفت مسز كودى بدورها ، كيف تتقبل منه ذلك بدون اكتئاب ، وكفت منذ زمن بعيد عن تقطيب جبينها كلما فعل ذلك . بل أقنعت نفسها بأنه ضرب من الكلف والاهتمام ، يبديه نحوها زوجها بغير تعمد . بل إنها والحق يقال ، بمضى الزمن ، بدأت تظهر عليها أعراض عرج خفيف فى قدمها استجابة منها لعطف زوجها عليها ، كنوع من رد الجميل .

أما الأربع الأخريات ، فكن فى سن الشباب ؛ وكن جميلات لا بأس بجمالهن من حيث الشكل . وكان من بينهن اثنتان متزوجتان : إحداهما مسز ديرث . وهى سيدة فارغة الطول ، لها عينان تضطرمان باللهب ، ذلك لأن ثمة رغبات جامحة ، وثمة أفكار قاتمة تجوس فى تلافيف عقلها ، كالوحوش المفترسة ، وهى أشبه بغجرية بيضاء ذات صوت خشن مبحوح .. وهى أجمل ما تكون وهى مهمومة حزينة ؛ وهذه حالها فى أغلب أوقاتها ، ويطلق عليها الأخريات - فيما بينهن - اسم « ديرث »[1] .

أما السيدة المتزوجة الأخرى ، فهى مسز بيردى ، وتعتبر نعم الرفيق الأمين للزوج الساذج الذى لم تحنكه التجارب . امرأة لينة العريكة ، سهلة القياد : من ذلك الطراز من النساء اللواتى يستخدمن سلاح الضراعة والتوسل لبلوغ أربهن . فهى مثلا تنال بغيتها من محبوبها بالتمسح فيه ووضع رأسها على كتفه ، بينما تلجأ « ديرث »

---

(١) ديرث معناه المجاعة أو المصيبة .

أو « المصيبة » إلى المسدس لتحقق الغرض نفسه . ثم لدينا « جوانا تراوت » التى تزينها روح طليقة مراحة . وتبدو خفة ظلها فى الوجه والقوام معاً . وبالأخص عندما لا تكون مشغولة البال بحب جديد . وعندما تحين اللحظة الحاسمة ، يمكنها أن تتخلص من المرح والانطلاق فى الحال ، كأنها تتبرأ منهما . واللحظه الحاسمة بالنسبة إليها هى بالطبع عندما تسمع كلمة « حب » ، أو « أحبك » ، عندئذ ترتعد فرائص جوانا ، ويغادرها المرح والإشراق ، بحيث يستطيع أثقل الرجال ظلا أن يشق طريقه إلى فؤادها . وتبقى لدينا « ليدى كارولين لانى » وهى من ذلك الطراز المتعجرف المتعالى . وقد تخرجت أخيراً من مدرسة راقية لبنات الذوات ، وهناك كانوا يعلمونهن كيف ينطقن « الراء » « غينا » ثم لا شىء آخر . وعلى أية جال فالنجاح فى الحياة الزوجية ، لا يكاد يحتاج إلى أكثر من ذلك . فالحاصل أن كل من استطاعت أن تنطق « الراء » « غينا » وجدت لنفسها بعلا . إن النطق بهذه الطريقة يستثير فى الرجل ، ما عنده من صفات الشهامة والرجولة والنخوة .

وأعتقد أنه لا تزال فينا بقية من هـذه الصفات التى انقضى عصرها ؛ وهذه البقية تحملنا على أن نتقبل بالرضى والتسليم فلسفة كل من هؤلاء السيدات فى الحياة ، ونظرتها الخاصة إلى نفسها . ونجد لحسن الحظ أن هذه النظرات ، هى فى جميع الحالات ، لصالح صاحبة الشأن . وهذا القول بل هـذا الحكم الخطير ، يظل سارى المفعول ، حتى الساعة العاشرة من الليلة التى نلتقى فيها معهن لأول مرة . ويحتمل أن تتغير نظرتهن إلى أنفسهن بصفة مؤقتة ، عندما نفارقهن فى صبيحة اليوم التالى ؛ ولكن ما يعنينا الآن هو أن نسجل المرآة تقول لصاحبتها ما يلى : « أما الوجه فجميل يستحب النظر إليه ؛

صحيح هو ليس كاملا من حيث مقاييس الجمال الكلاسيكى ، ولكنه يحفل بذلك السحر المتجدد بحيث يجعله نموذجاً للأنوثة الإنجليزية ، أما صاحبة الوجه ، فهى امرأة شهـدت من الأحداث ، وخاضت من التجارب ، ما هو أكثر بكثير مما تفصح عنه طبيعتها المتحفظة ؛ هى أحياناً تبتسم ابتسامة رقيقة ، ولكنها ابتسامة مجاملة تعرف صاحبتها كيف تتحكم فيها وتشكلها كما تشاء ؛ ومع ذلك فوراء هذه الابتسامة اللطيفة تتربص تنهدة أسى وحسرة كأن لسان حالها يقول : إنى أعرف . إنى أعرف ؛ ثم إن فى الوجه غموضا عجيبا يثير الاهتمام . ولو كتب على شاهد قبرها سطر واحد لكان كالآتى : « لو كنت رجلا فى حياتى : فما أروع المغامرات التى كنت لأخوضها مع الأنثى الراقدة هنا » .

أتراهن مع ذلك يشبه بعضهن بعضاً إلى هذا الحد ؟ لاشك أنهن ينكرن ذلك بقوة . إذن لا مفر من أن نفصل فى هذا الأمر بأنفسنا . وفى اللحظة التى يظهرن فيها حجرة الجلوس ، يبدين أمامنا متشابهات فى شىء واحد على الأقل : وهو أن لهن مصلحة مشتركة . وما إن يُغلق باب قاعة الطعام ، حتى تبرز هذه المصلحة وتتبدى فى أعينهن . ومن عجب أنه بعد أن تتخلص السيدات من الرجال تبدأ أحداث الرواية] :

آليس ديرث : [أشـدهن اكتئاباً : ولكن أشجعهن قلباً]
لايجب أن نضيع ثانية واحدة ، فقد استقر رأينا فيما أظن ؟

جوانا : الآن هو الوقت المناسب .

مسز كود : [مبتهجة ومذعورة فى الوقت نفسه] نعم ؛ الآن وإلا فلا ؛ ولكن أهو شيء ضرورى ؟

آليس : طبعاً . وقبل أن يأتى الرجال .

ميبل بيردى : هل ترين أننا لايجب أن ننتظر الرجال حتى يحضروا ؟ إنهم مثلنا متورطون فى الموضوع .

ليدى كارولين : [ولسوء حظها خلت أول عبارة تنطقها ، من « الراء »] لوب سوف يكون معهم ، وإذا كان لنا أن ننهى الموضوع ، فيجب أن يكون ذلك الآن .

مسز كود : ألا يكون فيه شيء من التجنى على لوب؟ الرجل بعدُ ، مضيفنا .

جوانا : طبعاً فيه تجن على لوب . ومع ذلك فلننفذ الخطة حسب الاتفاق ياكودى .

مسز كود : أجل . فلننفذ الخطة !

ميبل : مسز ديرث بدأت تنفذها بالفعل .

آليس : [وكانت مشغولة بكتابة صيغة برقية] بالطبع . لن يجيء الرجال الآن ، أليس كذلك ؟

جوانا : [وقد ذهبت تستطلع] لا . لن يجيئوا . زوجك بدأ يحتسي الآن كأسه الثانية من النبيذ الأحمر.

آليس : بلا شك . لتتفضل إحداكن ولتقرع الجرس .

[جوانا الباسلة تقرع الجرس] .

مسز كود : مسكين أنت يا ماتى !

ليدى كارولين : بل يستحق تماماً ما سوف يحدث له .

جوانا : إنه قادم الآن . لاتتجمّعن هكذا كالمتآمرات !

مسز كود : بل نحن كذلك فعلا .

[تسرع كل واحدة بالجلوس على مقعد . وتحرص على أن تكون فى جلستها مسترخية شأن السيدات المحترمات اللواتى ينتظرن حضور أزواجهن ، بينما يظهر رئيس الخدم الذى حق

عليه الفول . وهو رجل متين العضل ، وثيق التركيب ، يستطيع فى مقابل رهان بسيط ، أن يطيح بأبة واحدة منهن بحركة من يده ، ولكننا مضطرون إلى التغاضى مؤقتاً ، عن غلبة العقل على المادة] .

آليس : [التى تكون دائماً فى أحسن حالاتها عندما تواجه الخطر] ها قد حضرت يا ماتى ، أريد منك أن تعمل على إرسال هـذه البرقيـة .

ماتى : [وهو شخصية محبوبة من الجميع] بكل سرور يا سيدتى . ولكن مكتب البريد فى القرية يغلق أبوابه عادة فى الساعة الثامنة . أما إذا كانت برقيتك مهمة . . .

آليس : هى كذلك ؟ وأنا متأكدة يا ماتى من أن لديك من الحصافة ما تستطيع أن تحملهم هناك على مراعاة خاطرك .

ماتى : [وقد تناول البرقية] حسناً يا سيدتى .

سأتولى الأمر بنفسي . يمكنك أن تطمئني
إلى وصولها الليلة .
[تفلت من كودى شهقة صغيرة ، تشبه
الصوت الذى تحدثه غرزة الإبرة فى أشغال
الصوف] .

آليس : [وقد أصبحت الآن بحق « ديرث »
« المصيبة »] أشكرك . من الأفضل أن
تقرأ البرقية يا ماتى ، حتى تتحقق من
كلماتها . [يقرأ ماتى كلمات البرقية فى سره ،
وبعد تلك اللحظة ، تتبدل نظرته إلى النساء
تماماً ، تمضى « المصيبة » فيما هى ماضية
فيه ، بصوت كمواء القطة] اقرأها بصوت
مرتفع يا ماتى .

ماتى : أرجوك . يا سيدتى .

آليس : [وقد انقطع الهواء] اقرأ بصوت مرتفع !
[وما إن يتلقى هذه الدفعة ، حتى يقرأ البرقية
المشؤومة] :

ماتى : « إلى مركز البوليس . جريت كالمنى .
أرسلوا ضابطاً فى الصباح الباكر ، للقبض

على المدعو « ماتى » رئيس الخدم ، ،
بسبب سرقة عدد من الخواتم .

آليس : نعم . هى بالضبط هكذا .

ماتى : سيدتى ! [ولكنه يجدها قد تناولت كتاباً وتشاغلت عنه . يتحول عنها إلى ليدى كارولين]
يا سيدتى !

ليدى كارولين : [وكان صوتها ألذع من صوت « المصيبة »]
ألا يحسن أن يذكر عدد الخواتم ؟

آليس : نعم . معك حق ؛ اكتب عندك عدد الخواتم يا ماتى . . .

[ماتى لا يكتب ؛ ولكنه بدلا من ذلك يعمد إلى ثيابه ، فيخرج من بين طياتها ثلاثة خواتم ذهبية ، يعيد كلاًّ إلى صاحبته بلا أدنى حرج] . .

ماتى : [وقد طمع الآن فى أن يسدل الستار على الواقعة]
هل أمزّق البرقية يا سيدتى ؟

آليس : قطعا ، لا .

ليدى كارولين : كنت أعرف أن هــذا « الغنّجل » هو

« الساغق » . أنا طيلة حياتى ، لم تخطئ
« فغاستى » فى الناس أبداً . إنى « أغتى »
فى وجهك يا ماتى ، أسهماً وخطوطاً
ذات دلالة . إنها واضحة تماماً .

[كان هو الآخر حريا بأن يجيبها بأنه هو
بدوره يرى الكثير من حروف الغين تعلوها
من أعلى الرأس حتى أخمص القدم . ولكن الظرف
لم يكن مناسباً للمساجلة بالطبع] .

ماتى : المسألة تدعو للأسف الشديد . وأنا أقدم
اعتذارى !

آليس : [فى خبث] طبعاً . مفهوم .

جوانا : [من النادر أن تظل ساكتة هكذا لفترة طويلة]
لابد وأن نخبره الآن ، إن مسألة
الخواتم لم تكن هى التى تقلقنا ، وإنما هى
وسيلة لغاية أخرى .

[تحدث حركة بين السيدات ، لتدل على أنهن
بلغن النقطة الهامة فى الموضوع] .

آليس : بالضبط . وبعبارة أخرى ، ستقوم يا ماتى

بإرسال هذه البرقية حتماً . . . ما لم . . .

[تشرئب عنق ماتى] .

چوانا : ما لم تخبرنا الآن وفوراً ، عن الشيء الذى نشترك فيه كلنا نحن السيدات فى هذا البيت .

ميبل : لا : ليست السيدات فقط : بل الذى يشترك فيه جميع الضيوف النازلين فى هذا البيت .

آليس : مضى علينا هنا أسبوع . وقد تبينا أن لوب عندما دعانا إلى بيته ، لم يكن يعرف عن أى منا إلا النزر اليسير . فبدأنا نتساءل فيما بيننا عن سر هذه الدعوة . ثم استخلصنا من الكلمات التى زل بها لسانه ، أنه إنما دعانا بسبب شيء معين نشترك فيه جميعاً . أو يعتقد هو أننا كذلك .

ميبل : ولكنه يرفض أن يصرح لنا بشيء عنه .

ليدى كارولين : [وهى تباعد ما بينها وبين چوانا] أى

إنسان يمكنه أن « يعغف » إنه ليس هناك
من هم « أكثغ » اختلافاً وتبايناً منا :

چوانا : [شاكرة فضلها] أجل . كل إنسان
يعرف ذلك .

مسز كود : إننا يا ماتى لايغمض لنا جفن ، من شدة
الحيرة والتساؤل عن هذا الشيء وماذا
يكون .

چوانا [تلخص الموضوع] ولكننا متأكدون من
أنك تعرف . فإذا لم تخبرنا . . . . فلا مفر
من السجن .

ماتى : [وقد أخذ قلقه يتزايد] أنا لا أعرف شيئاً
مما تقصدن إليه يا سيداتى .

آلينس : بل أنت تعرف.

مسز كود : لابد وأن تسلّم بأن سيدك رجل شاذ
غريب الأطوار.

ماتى : [يحاول التملص] فيه شيء من الشذوذ
يا سيدتى . ولعل هذا هو ما يجعل كل

الناس ينادونه باسم « لوب » مجرداً .
لا مستر لوب .

چوانا : إن شذوذه يقلقنى ويجعلنى أتوهم أحياناً
أننا ربما دعينا إلى هنا بهدف إجراء تجربة
مروعة علينا ، أو شيء من هذا القبيل
[ماتى يرتعد] يبدو عليك أنك أيضاً
تظن هذا الظن .

ماتى : لا . أبدا . يا آنسة . إنى . . . . إنه . . . .
[تحاوره الكلمات التى يريد أن يكتمها ، ثم
تفلت منه] ليتكن لم تجئن إلى هنا
يا سيداتى . لم تكن هناك ضرورة لذلك .
[يشعر فى تلك اللحظة بالرثاء لهن ، أكثر
مما يشعر بالرثاء لنفسه] .

ليدى كارولين : لم تكن هناك « ضغوغة » «لخضوغنا » ؟ !
والآن أيها « الغجل » ما الذى تقصده
بذلك ؟

ماتى : لاشيء يا سيدتى . أنا . . . . أنا . . . .

فقط قصدت أن أقول علام جئتن إذن ...
طالما أنتن من الطراز الذى يتصوّره ؟

ميبل : الطراز الذى يتصوّره ؟

آليس : أى طراز هذا ؟ الآن اقتربنا من كشف السر .

ماتى : [وقد أخذ حذره من جديد] ليس لدى أدنى فكرة عن ذلك يا سيدتى.

ليدى كارولين : [التى ينبغى على القارئ الكريم أن يضع بنفسه حروف الغين لها ابتداء من الآن] إذن فليس من المحتم أن تكون مزايانا وفضائلنا هى التى أثارت اهتمام لوب فينا .

ماتى : [شارد الذهن] كلا . يا سيدتى . أبداً يا سيدتى .

[يكون لقوله هذا وقع سيئ فى النفوس] .

مسز كود : ومع هذا فأنت تعلم أن سيدك رجل لطيف المعشر ..

ماتى : [وقد تحمّس] إنه لطيف بالفعل ، يا سيدتى . بل هو ألطف شيطان عجوز

فى هذه الدنيا . . . أرجو أن تغفر لى هذا القول يا سيدتى .

چوانا : لا حاجة بك إلى الاعتذار ، فإن ما قلته صحيح على نحو ما . لقد رأيته هناك فى الخارج ، وهو يتمشى بين أزهاره ، ويداعبها ويحدثها ويدللها بحيث لايسعها إلا أن تنمو وتزدهر.

آليس : [ولعلها استخدمت التشبيه غير الملائم] لاشك أن حديقته شبيهة بالجنة .

[يتطلع الجميع إلى ذلك الخصم المتربص الذى لا يغمض له جفن] .

مسز كود : [ولم تكن أشد انخداعاً به من الأخريات] ما أجمل منظرها فى ضوء القمر ! لاترين منها إلا وروداً وأزهاراً . [ثم كأنها فى حلم] إنها تشبه قبعة كنت أرتديها وأنا شابة صغيرة .

آليس : لوب يجيد فن زراعة الحدائق ، إلى درجة

أنى أعتقد أن فى استطاعته أن يزرع أى
شيء حتى القبعات .

ليدى كارولين : [وسوف تدفع ثمن قولها هذا] إنه متعهد حدائق ممتاز ؛ ولكن أيليق هذا برجل فى مثل سنه ؟ ما عمره أيها الرجل ؟

ماتى : [متململا] إنه يرفض البوح به يا سيدتى. أعتقد أنه يخشى أن يطرق رجال البوليس الباب ذات يوم ، إذا خامرهم الشك فى حقيقةعمره . وفى القرية يقول الناس: إنهم يذكرونه منذ سبعين عاماً ، وكان على حالته الراهنة تماماً .

آليس : هذا كلام سخيف .

ماتى : نعم يا سيدتى . ولكن هناك أيضاً أمواسه .

ليدى كارولين : أمواسه ؟

ماتى : لاحاجة بلك لأن تعرفى شيئاً عن الأمواس مادمت لم تتزوجى . سامحينى لقولى هذا . ولكن السيدة المتزوجة يمكنها أن تنبئ

عن عمر الرجل من عدد ما لديه من أمواس . [ثم فى شىء من الذعر] آه لو رأيت أمواسه ... إن لديه منها دنيا كاملة . ابتداء من الماركات العصرية إلى أدوات حديدية بشعة المنظر ، بطل استعمالها منذ دهر طويل . وإذا رأيتيه وأمواسه بين يديه ، خيّل إليك أنه لايحلق بها ذقنه ، بل ينحت بها طريقه عبر العصور والأجيال .

ليدى كارولين : كلامك هذا مسلٍّ إلى حد ما . ترى هل سبق له الزواج ؟

ماتى : [ببساطة متناهية] لقد نسى موضوع الزواج تماماً يا سيدتى . [ثم كأنه يتذكر شيئاً] كم مضى من الزمن على عصر إنجلترا المرحة ؟

ليدى كارولين : ولماذا تسأل هذا السؤال ؟

ميبل : كان ذلك فى عهد الملكة إليزابث فيما أعتقد . أليس كذلك ؟

ماتى : يقول إنه هو كل ما تبقى من عصر إنجلترا
المرحة ، إن كل ما تبقى من ذلك العصر
هو ذلك القزم الصغير .

ميبل : [وكان لها أشقاء رجال] لوب ؟ أظن
أن هناك لاعب كريكيت مشهور اسمه
لوب .

مسز كود : ألم يرد اسم لوب فى مؤلفات شكسبير ؟
كلا بالطبع . كنت أفكر فى روبن جود
فيللو .

ليدى كارولين : لاعليك . الأسماء تتشابه كثيراً .

چوانا : كان روبن جود فللو هو پك .

مسز كود : [بارتياح ساذج] هذا بالضبط ما كان
يدور فى فكرى ؛ لوب كان اسما آخر
لپك .

چوانا : الحق أن لوب هو أشبه الناس بپك ، هذا
إذا كان پك قد نسى أن يموت فى أوانه ،
ثم نما وكبر . وبهذه المناسبة أذكر الآن

أنه يسمى أزهاره بأسماء قديمة ، كانت معروفة فقط فى العصر الإليزابثى .

ماتى : إنه دائماً يا آنستى يسمى البلبل عندليباً ، إذا كان هذا يفيد فى شىء .

آليس : [وليست من أهل الذكر أو العلم] كلا . لم يفد فى شىء . أخبرونى جميعاً بربكم : ألم يذكر لكم فى دعوته ، أنه يريدكم أن تقضوا عنده أسبوع منتصف الصيف؟ [الجميع يؤمنون على قولها] .

ماتى : [وكان أولى به أن يغلق فمه] مضبوط .

مسزكود : والآن ماذا تقصد بذلك ؟

ماتى : هو يفضل دائماً أن يحضروا إلى هنا ، ليلة منتصف الصيف يا سيدتى .

آليس : يحضروا ؟ من الذين يحضرون ؟

ماتى : الذين يجمعهم هذا الشىء المشترك .

ميبل : أتعرف ما هو هذا الشىء ؟

ماتى : لا علم لى به .

ليدى كارولين : [وهى تنظر فجأة إلى ما تبطن] . أعتقد أننا جميعاً طيبات ، ومع ذلك فما من واحدة منا تعرف الأخرى معرفة كاملة [يثير هـذا القول بعض الريبة] ترى أتحدث أشياء مثيرة فى مثل هذا الوقت ؟

ماتى : لست أدرى .

چوانا : رباه ! أعتقد أن هـذه الليلة هى ليلة منتصف الصيف .

ماتى : إنها كذلك يا آنسة . وأهل القرية يعرفونها ، ويترقبون حلولها ، فإذا ما أقبلت دخلوا بيوتهم — وأوصدوا الأبواب بالمزاليج .

ليدى كارولين : كل هذا . . . . بسببه هو ؟

ماتى : إنه يخيفهم . وهناك حكايات تحكى عنه .

آليس : ما الذى يخيفهم فيه ؟ أخبرنا . . . وإلا . . (تلوّح بالبرقية] .

ماتى : لا أعلم شيئاً عن ذلك عن يقين يا سيدتى . أنا شخصياً لم أفعلها ، أراد أن يحملنى

على ذلك ، ولكننى امتنعت :

ميبل : تفعل ماذا ؟

ماتى : [بتوسّل] بالله عليك يا سيدتى ، لاتطلبى منى ذلك . ارحمينى يا سيدتى أنا لست شريراً بطبيعتى ، إن ما فعل هذا بى ، هو أننى التحقت بالخدمة فى البيوت ، مجرد مصادفة أوقعتنى بين رفاق السوء . إن حياة الفقراء فى هذه الدنيا ، على كف عفريت ؛ كل شىء يا سيدتى يتوقف على اختيار الطريق من البداية ، الطريق الخطأ أم الطريق الصواب.

مسز كود : [وهى أرقهن قلباً] قد يكون هذا صحيحاً.

ماتى : [وقد بدت له بارقه من الأمل] لما كنت فى صغرى يا سيدتى ، عُرضت علىّ وظيفة كتابية فى المدينة ، فلو أنى قبلتها آنذاك ، لما كان على ظهر الأرض من هو أكثر أمانة منى . أنا مستعد لأن أضحى بكل ما عندى فى هذه الدنيا ،

في مقابل أن أمنح فرصة أخرى للبدء
من جديد .

[وكان يعني كل كلمة قالها ، ومع ذلك ، فإن أزهار الحديقة بعد سماعها هذه الكلمات ، تمنت – لو استطاعت – أن تنطلق في عاصفة من الصفير والصياح والتصفيق : سخرية منه واستخفافاً به] .

مسز كود : هذا شيء يؤسف له يا مسز ديرث .

آليس : أنا آسفة من أجله ؛ ولكن لايزال هناك ..

ماتي : [وقد انتقل بصره إلى ليدي كارولين]
وما قولك أنت يا سيدتي ؟

ليدي كارولين : [باختصار] مادمت تطلب رأيي ، فأنا
أقول بلا تردد ، إلى السجن .

ماتي : [في يأس] إذا لم تبلغي عن هذه الواقعة
يا سيدتي . . . . . فسوف أمنحك شيئاً
في مقابل هذا المعروف الذي تمنين به
عليّ .

آليس : هذا هو الكلام المعقول .

ليدى كارولين : لا. لا تصغى إليه .

ماتى : [فى ذلة] إذن فأنت أشد الجميع قسوة علىّ .

ليدى كارولين : أجل . وإنى لأحمدها لنفسى .

ماتى : [وقد خرج عن طوره] أنت نفسك يحتمل أن تضلى الطريق يا سيدتى.

ليدى كارولين : أنا ؟ كيف تجرؤ يا رجل ؟

[ولكن الأزهار فى الحديقة ربما رضيت عنه من أجل هذا القول ؛ ولعل كلماته قد أوحت إليه بخطة معينة] .

چوانا : [تنظر من ثقب المفتاح فى باب قاعة الطعام] الرجال ينهضون .

آليس : [فى عجلة] هو كذلك يا ماتى . موافقون ؟ ؟ . ؟ ؟ هذا بشرط أن تكون منحتك تستحق ذلك .

ليدى كارولين : سوف تندم على ما قلته ؟

ماتى : لا أظن ذلك يا سيدتى . المسألة باختصار هى كما يلى : لو طلب منكن السيد أن

تخرجن الليلة ؛ فلا تفعلن . لوكنت فى
مكانكن لما خرجت من البيت الليلة .
اخرجن إلى الحديقة إن شئتن ؛ الحديقة
لا ضير منها [وكان مؤمناً بما يقول]
ولكن لو كنت فى مكانكن ، لما
ابتعدت عن الحديقة . لا . ليس فى هذه
الليلة بالذات .

مسزكود : ولكنه لم يطلب منا أن نذهب إلى أبعد من
الحديقة ، فلماذا يصر على ذلك الليلة ؟

ماتى : لا علم لى يا سيدتى . ولكن حذار أن
تبتعد واحدة منكن . . . [ثم فى نبرة
خبيثة] فيما عداك أنت يا ليدى كارولين ؛
فأنا أرجو أن تذهبى .

ليدى كارولين : أيها اللعين ! !

[لكنهن ينظرن بعين الاهتمام ، إلى هذا
التحذير الغريب] .

آليس : هل أمزقها ؟

[يومئن بالرؤوس موافقات . تمزق ورقة
البرقية] .

ماتى : [وقد بلع ريقه] شكراً لك يا سيدتى .

ليدى كارولين : كان الأوْلى بنا أن نبعث بالبرقية .

چوانا : هل أنت واثق من أنك قلت كل ما تعرفه يا ماتى ؟

ماتى : نعم يا آنسة . [يصل إلى الباب يريد الخروج . ولكنه يصبح أكثر كرماً ويرغب فى الإفضاء بالمزيد] وقبل كل شىء ، لو كنت فى مكانكن يا سيداتى لما ذهبت إلى الغابة مهما كانت الأسباب ،

ميبل : الغابة ؟ ! عجبا . ليس هناك أية غابة فى مدى اثنى عشر ميلا من هنا .

ماتى : هذا صحيح يا سيدتى . ومع ذلك فأنا لا أذهب إليها أبداً .... لو كنت فى مكانكن ..

[يخرج بعد أن يلقى بينهن ذلك التحذير المهم . تأخذ السيدات فى التداول بشأنه ، ولكن يحول دون ذلك ، حضور المضيف ، رب البيت . ولوب رجل قمىء ضئيل الحجم

جداً . ولا يكاد يوجد فى العالم أجمع رجل
على ساكلة لوب ، فعلى وجهه من آثار
الشيخوخة ومرور السنين ، ما لا نظير له
أبداً ، اللهم إلا ما يبدو أحياناً على وجوه
بعض الأطفال حديثى الولادة . . إن الأثر
الذى يتركه فى نفسى من يتفرس فيه ، كما فعلت
السيدات تلك اللحظة لأول مرة ، هو كما لو ترى
شيئاً أجوف مفرّغاً : مثلا أنبوبة دقيقة أو كرة
من المطاط ليست منفوخة تماماً بالهواء ،
لو اصطدمت بجسم صلب لارتدت عنه ارتداداً
ضعيفاً . ولوب يعرف ذلك فى نفسه ،
ويحرص على أن يبتعد عن قطع الأثاث فى
الحجرة حتى لا يصطدم بها . وليته ما عرف ؛
إذن لوفر الكثير من الفوضى والارتباك أثناء
مروره . وهو خفيف الوزن جداً ؛ وقد بلغ
من خفته أن أى حديث عن الأوزان والموازين
يضايقه . فلا ينبغى أن يذكر شىء عنها فى
وجوده . ولو أجمع السيدات أمرهن ، لاستطعن
أن يطيرنه من فوق الكرسى بنفخة واحدة من
من أفواههن . يدخل لوب الحجرة ، محاطاً
بجو من التوجس مملوء بالاحتمالات : يداه
وراء ظهره ، وكل أعضائه ، من دماغه

الذى يشبه القبة ، إلى أقدامه الدقيقة ؛ تعبّر عما يجوس فى داخله من أفكار عميقة . وفجأة ، يدور حول نفسه ، مما يجعل ضيوفه يقفزن من مقاعدهن من الذعر . وإذا نجح فى إفزاعهن بهذه الطريقة ، شعر بسرور شديد . وبالتدريج يسترد هيئته الجادة ويعود إلى حالته الأولى . ثم يوجه حديثه إلى مسز كود] .

لوب : علام تقفين يا سيدتى العزيزة ؟ أتوسل إليك أن تجلسى . [يقدم لها كرسياً ، فإذا همت بالجلوس ، جذبه بعيداً عنها ، كأنه يتعمد أن يوقعها على الأرض ، ولكنه يتظاهر بذلك فقط . مجرد مداعبة كان يكررها معها كل ليلة منذ حضورها] .

مسز كود [وهى التى تهيم حباً بالأطفال] يا لك من ولد شقى ! !

لوب [بشغف] لعبة لطيفة ؟ أليست كذلك ؟ [ثم يدلف بجسده النحيل فى أحد المقاعد ، ويركل الهواء بقدميه معاً منتشياً بالرضى عن نفسه . أما السيدات فيخالجهن الشك فى ذلك

الرجل الضئيل الذى كن يحسبنه أطيب الناس
قلباً وأسلمهم طوية . وفى تلك الأثناء يدخل
مستر كود ومستر بيردى ، فيتضاعف بذلك
توجسهن . ومستر كود عجوز رقيق الحاشية ،
ترتسم على وجهه ابتسامة دائمة يمنحها لكل
الناس . وهو من ذلك الطراز من الناس
الذين يشبهون الفاكهة المسكرة ، شديدة
الحلاوة . إذا رأيته قلت إن هذا الرجل
لا شك قد تألم كثيراً فى حياته ، وإلا
ما استطاع أن يحصل على مثل هذه الابتسامة
الحلوة الودود ، ومع ذلك فأنت تخطئ فيما
ذهبت إليه . فابتسامة مستر كود الحلوة تغيب
عن وجهه عندما يرقب الآخرين وهم منهمكون
فى أعمالهم . عندئذ تحل محلها نظرة حائرة ،
ويتململ مستر كود ، ويشعر بالقلق كأنه
رجل وضع فى غير مكانه الطبيعى . وإنه كان
ينبغى أن يكون شخصاً آخر . ويبرز أمام
عينه منظر حجرته الخصوصية فى منزله ، التى
يسميها « المكتب » تصطف لصق جدرانها أرفف
خشبية ، مملوءة « بدوسيهات » كثيرة ، وهذه
« الدوسيهات » مرقمة بحروف أبجدية ابتداء من
الألف إلى الياء ، ثم من ا م ، ب م حتى ك م ،

وتضم هذه « الدوسيهات » مذكرات وأوراق ، وقصاصات عن كتابه الكبير الذى يعتزم تأليفه عن النظام الإقطاعى . ويبلغ عمر هـذه « الدوسيهات » سنوات كثيرة . أما الكتاب نفسه فلم يبدأ فيه بعد . وما فتئ يتحدث عن إتمامه وإنجازه . ولكنه لا يتحدث قط عن البدء فيه . وهو مؤمن إيماناً تاماً بأنه لو أتيحت له ظروف مواتية لاستطاع أن يلقى بنفسه فى غمار العمل حتى ينتهى منه . مثلا لو أنه كان فقيراً محتاجاً إلى المال لفعل ذلك بلا تردد . أما وهو الآن ميسور الحال لا يعرف معنى الحاجة . . . . . ولكنه لا يسمح أبداً للحسرة والندم أن يتدخلا فى حياته وينغصا عليه هناءه وراحته . فسرعان ما تختفى الصورة الخيالية من أمامه ، ويعود إليه إشراقه . ويقول فى مرحه المعتاد ، إن للكسل أيضاً فوائده ومزاياه . ومن الممتع حقاً ، أن تقع عليه العين الآن وهو يعبر الغرفة بسرعة إلى زوجته ، فيعمل على راحتها بكل سبيل . وها هو ذا ينحنى بين يديها ، ومعه مسند القدم يقربه منها ، هذا فى الوقت

الذى يدخل فيه مستر بيردى قادماً من قاعة
الطعام . ومستر بيردى هو أكثر أصدقائنا
ذكاء ولباقة وألمعية . كان وهو طالب يحتل
منصب رئيس اتحاد الطلبة فى أوكسفورد ومن
المرموقين فى مجال المناظرات والمناقشات .
ولا يكاد الإنسان يلقى شخصاً فى هذه الأيام
إلا وجده . كان يشغل منصب رئيس اتحاد
الطلبة أيام الدراسة . وما أن تخرج مستر بيردى
من الجامعة حتى احترف العمل فى المحاماة .
وكان ذلك يوم الاثنين ، ثم فى يوم
الثلاثاء تزوج ، أما يوم الأربعاء فبدأ مرافعاته
فى القضايا وهو على ذكائه وألمعيته ،
وجاذبيته الشخصية ، مدرك تمام الإدراك
لمواهبه العقلية التى تفوق سنه . وهو فى حياته
كما سنرى ارتكب غلطة واحدة . ولكنه
يواجهها بشجاعة] .

* * *

آليس : ألايزال زوجى يحتسى نبيذه يا مستر
بيردى ؟

بيردى : [يسدد نحوها ابتسامة تجردها من سلاحها

مدافعاً بذلك عن ديرت الغائب] من أين
عرفت ؟ أعتقد ذلك . كود ،
ترى هل ستوافق السيدات على اقتراحنا ؟

كود : لم أعرضه عليهن بعد . أهم ما فى الأمر
أن زوجتى سترهق كثيراً . هل تعتقدين
ياكودى أنك قادرة على القيام ببعض
المجهود البدنى الليلة ؟ أم أن قدمك
يؤلمك ؟

مسزكود : [وهى الطيبة القلب] كنت أريح قدمى
طول النهار ياكودى .

كود : [وهو يضع قدمها على المسند برفق]
ها أنت ذى . أأنت أكثر راحة الآن ؟
وبعد هذا يا عزيزتى ، إذا كنت معتدلة
المزاج ، وليس لديك مانع ، فإننا جميعاً
قد اعتزمنا أن نخرج الليلة فى نزهة
على الأقدام .

مسزكود : [تستعيد تحذير ماتى] لابأس فى نزهة
فى الحديقة .

پيردى : [يتصنع الوقار] طبعاً . طبعاً . ولكن نزهتنا لن تكون فى الحديقة . سنذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى الحقول . نحن نعتزم الليلة القيام بمغامرة كبرى . ارتدى حذاء طويلا يا مسز ديرث واحضرى معك لفاعاً . وكلكن تصنعن مثلها .

ليدى كارولين : [مهتمة بالموضوع ، ولكنها تتظاهر بغير ذلك] إلى أين تنوى أن تأخذنا ؟

پيردى : للبحث عن غابة خفيّة .

[وإزاء كلمة « غابة » ، تعتدل قامات السيدات فى وقت واحد ، وتتحول أبصارهن إلى لوب ، الذى لم يكن أكثر براءة وطهارة قط ، مما هو الآن] .

چوانا : أتمزح يا مستر پيردى ؟ أنت تعرف تماماً أنه لاتوجد أية أشجار على مسافة أميال عديدة من هنا . لقد أخبرتنا هذا بنفسك ، وقلت إنه هو الشىء الوحيد الذى يعيب جمال هذه المنطقة .

كود : [يكاد ينافس بيردى فى حضور نكتته]
نعم . نعم . هذا فى الأحوال العادية .
ولكن اسمحى لى يا مس چوانا أن أنبهك
إلى أن الليلة هى ليلة منتصف الصيف .
[يتعرض لوب مرة أخرى ، للنظرات
النسائية المتفرسة] .

پيردى : أخبرهن يالوب ، أخبرهن بما أخبرتنا به.

لوب : [يعبس فى وجه الرجل الساذج السريع
التصديق] الحكاية كلها كلام فارغ .
كلها مجرد إشاعات سخيفة يتناقلها القرويون .
إنهم يتحدثون عن غابة عجيبة ، تظهر
فى هذه الناحية فى ليلة منتصف الصيف.

آليس : [ضارعة] أين ؟

پيردى : آه . أما عن هذه فهى إحدى خصائصها
العجيبة . إنها لاتظهر فى نفس المكان
مرتين أبدا . لقد شوهدت فى أماكن
متفرقة ، تارة فى المروج وأخرى فى
المستنقعات ، وذات مرة ظهرت بالقرب

من قرية رادلى ، ومرة أخرى على مسافة ميل من شاطئ البحر . إنها غابة متحركة ! !

ليدى كارولين : ولوب ، أليس حريصاً على أن نذهب جميعاً للبحث عنها ؟

كود : لا . ليس هو من يهتم بمثل هذه الأمور. إن لوب هو الشخص الوحيد هنا الذى لايؤمن بالخرافات . إنه يصر على أن الحكاية كلها هراء لا معنى له . وأننا لو ذهبنا لكنا حمقى مغفلين . أما نحن فنؤمن بالخرافات والأساطير . . إيه ؟ أليس هذا صحيحاً يا پيردى ؟

پيردى : [ساخراً] تقريباً !

لوب : [الداهية الأريب] لن نجنى من ذهابنا إلا ضياع الليلة . الأفضل أن نقعد هنا ونلعب الورق .

پيردى : [بإباء وشمم] لا . لا يا سيدى . أنا ذاهب للبحث عن الغابة .

چوانا : وأية فائدة فى العثور عليها ؟

پيردى : لاشك أن التجول فيها سيكون مثيراً للغاية . وكذلك إنصاتنا لتغريد طيورها ، خصوصاً لنوع عجيب من الطير . . . اسمه العندليب .

[سلوك لوب فى هذه الأثناء نموذجى لا غبار عليه . تصدر منه فى تلك الأثناء ، أصوات عذبة مثل زقزقة الطيور] .

چوانا : [مستريبة] هل سنمشى معاً فى مجموعة واحدة يا مستر پيردى ؟

پيردى : لا . بل أزواجاً أزواجاً .

چوانا : [وقد انضمت إلى صفوف المؤيدين] أعتقد أن الأمر لن يخلو من الطرافة . هيا بنا يا كودى . سأربط لك حذاءك الطويل .

أنا متأكدة من أن قدمك سيحتمل الرحلة تماماً .

آليس . : انتظرى لحظة يا مس تراوت . هل لهذه الغابة العجيبة ، خاصية أخرى يا لوب ؟

لوب : دعينا من هذا الحديث . ليس هناك أية غابة .

ليدى كارولين : ألم يقع بصرك عليها أبداً ؟

لوب : لا. لست أنا الذى رآها . أنا لا أومن بوجودها .

آليس : هل سبق لأحد من القرويين أن رآها أو ذهب إليها ؟

لوب : [بصوت حالم] هكذا يقولون ! هكذا يقولون !

آليس : وماذا قال الذين ذهبوا ؟

لوب : لم يقولوا شيئاً ، لأنهم لم يعودوا قط.

چوانا : [تعود إلى مقعدها وتستقر فيه] لم يعودوا قط ! !

لوب : كل هذا سخيف بالطبع . الأمر كما ترين ، فى الصباح اختفت الغابة . وهكذا اختفوا هم بالمشل . [ويقلد من جديد أصوات الطيور] .

چوانا : لا أظن أننى مطمئنة إلى هذه الغابة .

مسز كود : الليلة هى بالتأكيد ليلة منتصف الصيف.

كود : [وقد تذكر أن جنس النساء لم تصل إليه المدنية بعد] بالطبع يا سيداتى ، إذا لم يلق الاقتراح قبولكن ، فسوف ننسى الموضوع كلية . فالأمر لا يعدو أن يكون دعابة .

آليس : [وهى تحدج لوب بنظرة شريرة] نعم . الأفضل أن ننسى الموضوع . . إكراماً لخاطر لوب .

پيردى : إن لك ما تريد يا لوب . ما رأيك فى لعب الورق إذن ؟

[يلقى الاقتراح موافقة الجميع] .

لوب : [ينفجر باكياً فجأة] لقد كنت أريد أن تذهبوا . هيأت نفسى لذهابكم . ذلك هو ما أريد . ومما يضر بصحتى أن أحرم مما أريد .

[يزحف على يديه وركبتيه ويختبئ تحت المنضدة ، ويتوعد الأيدى التى امتدت لإخراجه] .

مسز كود : سبحان الله ! لقد كان الرجل راغباً فى ذهابنا طول الوقت . يا لك من ولد خبيث يا لوب !!

آليس : الآن ترون أن فى الأمر سراً خفياً .

كود : هراء . المسألة كلها لم تكن أكثر من دعابة يا مسز ديرث .

ميبل : [يرق قلبها] لاتبك . بالله لاتبك يا لوب .

لوب : لا أحد يهتم بى ... لا أحد يحبنى . أنا فى حاجة إلى من يحبنى .

[يعود بعضهم إلى الركوع ، والاقتراب منه ليهونوا عليه] .

چوانا : بل نحن نحبك . كلنا نحبك يا لوب يالوبى الظريف المحبوب .

ميبل : يا عزيزى لوب أنت لاتدرى كم أنا مغرمة بك ! !

چوانا : جففى له دموعه بمنديلى يا ميبل .

[يرفع لوب عينيه ليجففوا له دمعه ، ولكنه مع ذلك لا يبدى جانب الرضاء] .

ليدى كارولين : لا تبالغوا هكذا فى تدليله !

لوب : [محنقاً] بل أنا فى حاجة إلى من يدللنى .

مسز كود : يا لك من رجل صغير مضحك ! ! فلنذهب فوراً إلى غابته .

[يشعر الجميع أن هذه هى الطريقة الوحيدة لمصالحته وترضيته] .

چوانا : إلى الأمام سر. إلينا بالأحذية الطويلة والعباءات والقبعات . هلمى يا ليدى كارولين حتى تثبتى أنك لاتخافين من ماتى .

[تتم حركة خروج جماعية . وما أن يصبح لوب بمفرده حتى يبرز من مخبأه . ثم

يقلد أصوات الطيور منتشياً بخمر الانتصار
ثم يركع ثانية على ركبتيه وقد اعتراه الاكتئاب
الشديد ، ذلك أنه لاحظ أن بعض الزهور
قد سقطت من وعائها] .

لوب : أيتها الزهرة المسكينة ! لقد خدشت
وجرحت ؛ إنه أنا ؛ أنا الذى تسببت فى
إيذائك . إن لوب آسف جداً : وحزين
جداً من أجلك . نامى. نامى هنا ! [يوجه
حديثه إلى واحدة أخرى] وأنت يا حلوة . ؟
دعينى أرى موضع الألم ؛ سقطت على
رأسك ؛ هل تشعرين بالألم هنا ؟ سأزيل
عنك آلامك . ما هذا ؟ أيتها الصغيرة
الشقية ، أنت لم تصابى بأقل خدش ؛ أنت
تتصنعين. يا إلهى يا إلهى ! ! أرجوك ألاتبكى
لا تبكى يا حبة قلبى . أنت الآن أجمل
من أى وقت مضى . كنت من قبل طويلة
الساق أكثر من اللازم ، أما الآن فرائحتك
أزكى وأجمل . ومنظرك أروع وأنت
قصيرة قميئة . [ينقل جرحاه بمنتهى الرقة

والهوادة إلى مكانهم من الوعاء] اشربوا .
اشربوا : الآن عادت إليكم السعادة ،
والسرور. الشقية الصغيرة تبتسم لابأس ،
فلتبتسموا كلكم : أرجوكم . . . هزوا
الرءوس إذا كنا قد تصالحنا . . . آها ،
آها ، أجل ، أنتم تحبون لوب ، ولوب
يحبكم .

[تتسلل چوانا ومستر پيردى إلى الحجرة من
خلال النافذة] .

چوانا : ماذا كنت تقول لهم يا لوب؟

لوب : كنت أقول «كل اثنين صحبة طيبة فإذا
زادا إلى ثلاثة فسدت الصحبة » .
[يخرج وهو يزقزق كالعصفور] .

چوانا : ذلك الرجل . . . . إنه يشك فى سلوكنا .

[وچـوانا التى ظهرت أمامنا الآن ،
تختلف كل الاختلاف عن چوانا التى كانت
تخطر أمامنا على المسرح منذ هنية ، وكذلك
الحال مع پيردى ، فإذا كانا فى جمع من

الناس ، لا تلتقى عيونهما إلا فيما ندر . فإذا التقت العيون فكأنها قد انجذبت إلى بعضها البعض بفعل قوة قاهرة . كانا يبدوان فى نظرنا حتى هذه اللحظة ، مجرد شخصيتين تافهتين مستهترتين ، ولكن إذا عرفناهما على حقيقتهما لا نملك إلا أن نحبهما . فهما يمثلان فى نظر نفسيهما ، الرجل الكبير القلب مع رفيقته التى خلقت له وخلق لها . والاثنان فى قبضة ذلك السيد الجبار العاتى : الحب . وكانت كلمات لوب الأخيرة قد أثارت هواجس چوانا . وتعين على جون پيردى أن ينهض بواجبه كرجل : ألا وهو العمل على تهدئتها] .

پيردى : ليس هناك من يلتفت إلى لوب أو يأبه له يا عزيزتى ! آه يا عزيزتى !

چوانا : [تتخاذل] نعم . نعم . ولكنه رآك يا چاك وأنت تقبّل يدى. ماذا يحدث لو استرابت ميبل فى شىء ؟

پيردى : [فى إشراق] ليس هنــاك ما يدعــونا للريبة .

چوانا : [بحماسة] أجل . ليس هناك ما يدعونا للريبة . أليس كذلك ؟

[وما زالت تحدوها الرغبة فى أن تبقى طاهرة الذيل مستريحة الضمير] چاك . أنا لم أخطئ . قل لى بالله أن ليس فيما أفعله خطأ ما .

پيردى : أنت تخطئين حاشا لله ؟ !

[تمنحه إحدى يديها بحركة رشيقة . ويصنع هو صنيع الرجل الشهم فى مثل هذا الموقف ، فيتناول اليد الأخرى أيضاً] .

چوانا : إن ميبل هى زوجتك يا جاك ؛ وسأظل أكره نفسى لو أقدمت على شىء فيه خيانة لها .

پيردى : [يضغط يدها على كلتى عينيهـا ، كأنه يعدّهما عدّا كدأب العشاق فى تصرفاتهم الشاذة] هاتان العينان لا يمكن أن ترتكبا

خيانة . . . . يا سيدتى ومولاتى ذات
العيون العسلية . [يبعدها عنه قليلا
ثم يتأملها عن بعد ، وهو يحترق بنار أنوثتها]
آه يا عزيزتى . ما أرشق عودك !
[ثم بلهجة تكاد تكون عتاباً] چوانا ،
لماذا أنت رشيقة العود هكذا ؟ [ولو
استطاعت جوانا أن تكون أقل رشاقة مما هى
– لفعلت إكراماً له – ولكنها لا تستطيع
للأسف . وتعترف بعجزها هذا بعيون تزداد
اتساعاً وتشع سحراً ؛ يحتويها بين أحضانه ،
حتى يتفادى النظر إليها . وفى العناق يجد
الرجال مأمنهم] .

چوانا : [وهى بعيدة عن متناول بصره] غاية مرادى
أن أساعدها وأساعدك .

پيردى : أعرف هذا . . . . . أعرف هذا تماماً . . .
يا حبيبتى العزيزة الباسلة .

چوانا : أنا أحب ميبل جداً يا چاك . وأحب أن
أظل خير صديقة لها فى هذه الدنيا .

پيردى : وإنك لكذلك يا أعز الناس . لم تحظ امرأة قبلها ولابعدها ، بصديقة مثلك

چوانا : ومع ذلك فلا أظن أنها تحبنى حقاً . وأنا فى دهشة من ذلك .

پيردى : [وهو أرجح الجانبين عقلا] السبب هو أن ميبل لاتدرك الوضع تماماً . لا يوجد شىء فى العالم يحملنى على أن أنطق بكلمة ذم واحدة فى حق زوجتى . . .

چوانا : [بصرامة] ولو فعلت لما استمعت إليك .

پيردى : حبى لك يزداد بقولك هذا . ولكن ميبل ذات طبع بارد جامد . فضلا عن أنها ليست واسعة الإدراك .

چوانا : [وكان تفكيرها منصرفاً إليه هو لا إلى شخصها] إنها لاتقدر مزاياك حق قدرها .

پيردى : [فى تأمل عميق] هذا هو الواقع .ولكنى إنسان شكس عنيد صعب المراس . كنت دائماً مخلوقاً غريب الأطوار . كثيراً

ما حسبت نفسي يا چوانا ، أشبه بزهرة
لم تشرق عليها شمس ولم يبلها قطر المطر.

چوانا . : قلبي ينفطر وأنا أسمع هذا منك .

پيردى : [متلذذاً بما يقول] أعتقد أنه ليس على
ظهر الأرض الآن ، من هو أشد
وحدة ووحشة مني .

چوانا : [وكأنها طائر يخفق بجناحيه حناناً وإشفاقاً]
هذا شيء محزن جداً .

پيردى : إن تفكيرى فيك هو الذى يقوى قلبي ،
ويثبت عزائمى ، ويشد من أزرى وأنت
أنت هناك فى عليائك ، ترسلين إلى نورك
البهىّ الذى يشبه شعاع النجم الهادى ! !

چوانا : لا. لا. هذا غير صحيح . وددت لوكنت
بالفعل شيئاً له قيمته . ولكن لست كذلك .

پيردى : لقد رققت حاشيتي يا چوانا !

چوانا : من دواعي فخرى أن تظن بى هذا الظن .

پيردى : لقد جعلتنى أكثر عطفاً على ميبل .

چوانا : أنا على يقين من أنك كنت دائماً عطوفاً عليها .

پيردى : نعم . أظن ذلك . ولكنى ألاحظ الآن أننى دائم التفكير فى البحث عن أشياء صغيرة تدخل السرور عليها . آه يا چوانا ! كان يوما لا ينسى ، يوم أن التقينا أول مرة . أنت وأنا !

چوانا : [تخفق بجناحيها وهى تقترب منه] ما زلت أذكر ذلك اليوم الحزين الرائع ، والذى قضيناه معاً إلى جانب السد عند النهر . . . آه يا چاك !

پيردى : أتعلمين أننى مكثت مع ميبل بقية اليوم كله ، رداً على جميلك ؟

چوانا : [وكأنما تترنم] قص علىّ الخبر .

پيردى : مكثت أطالع كتاباً لميبل مدة ساعة . فعلت ذلك عطفاً وإشفاقاً عليها ورداً لما أسديت إلى بلقائك .

چوانا : هذا لطف منك .

پيردى : أتذكرين أول ما التقى ذراعاى وخصرك يا جوانا ؟ كم كنت مائسة القد !

[مستطرداً فى سوق غلاب] لماذا أنت مائسة القد إلى هذا الحد يا چوانا ؟

چوانا : [مستيئسة] لاحيلة لى فى ذلك يا چاك .

پيردى : أهديت إليها سواراً مرصعاً بالياقوت لهذه المناسبة .

چوانا : إنه جوهر حقيقى . لقد أهديت إلى تلك المرأة المحظوظة أشياء كثيرة رائعة .

پيردى : أصبحت عادتى التى لا تتخلف ، فى كل مرة تتعطفين على فيها بشىء ، أن أذهب وأشترى لميبل هدية ثمينة . أتعرفين تلك الأقراط الجديدة التى ترتديها الآن ؟ كانت هدية بمناسبة أول يوم ناديتنى فيه باسمى مجرداً . ياچاك ! « وفستانها » الجديد . . « الفستان » المطرز بالخرز . . . كان لسماحك لى بتقبيلك .

چوانا : لم يكن سماحاً منى تماماً .

پيردى : كلا . أنت لم تسمحى لى . ولكن لك طريقة مغرية فى الاستسلام .

چوانا : ألاحظ أنها لم ترتدى ذلك الفستان فى الأيام الأخيرة يا چاك .

پيردى : لا . حتى المجوهرات لم تعد تلبسها . أعتقد أن فكرة ما تراودها الآن . إن فى كل مرة أقدم لها هدية جميلة ، يكون وراء هذه الهدية عطفاً على من جانبك . لقد أصبحت ميبل كثيرة الشك فى هذه الأيام . مع أن ذلك ليس فى طبيعتها . ولكن الوساوس بدأت تغزو قلبها . وتستحوذ عليها . وإنى لأتعجب من ذلك . أجل . إنى لأتعجب فى السبب الذى حملها على هذا الشك ؟

[وفى غضون هذا التعجب الذى تشاركه فيه چوانا ، تلتقى شفاههما . أما ميبل التى أوشكت أن تدخل الحجرة قادمة من الحديقة ، فتنسحب فى هدوء] .

چوانا : هل كان هناك أحد فى الحديقة ؟

پيردى : [يعود بعد أن يتحقق من ذلك] لا . ليس هناك أحد الآن .

چوانا : أنا متأكدة أننى سمعت صوتاً . آه لو أنها كانت ميبل ! ! [تصدر عن وحى من غريزتها الأنثوية] چاك . ماذا لو أنها رأتنا ؟ سوف تظن أنك كنت تقبلنى ! ! [تتأكد هذه المخاوف بسلوك ميبل الغريب المتجلد بعد أن انضمت إليهما] .

ميبل : [معتذرة] آسفة إذ أقطع عليك خلوتك يا چاك ! ولكن أرجوك أنْ تنتظر لحظة واحدة قبل أن تقبلها مرة ثانية . بعد إذنك يا چوانا . [تتقدم إلى الستار فى هدوء فتسدلها . وبهذا تحجب عنا الحديقة ، وتحجب أيضاً أى متطفل يحتمل وجوده فيها] أنا لا أريد أن يراك الآخرون ، فربما لايقدرون نبلك وشهامتك ونخوتك حق قدرها يا چاك . الآن تستطيع أن تستأنف ماكنت فيه .

[وما إن تختتم كلامها على هذا النحو ، حتى تنسحب خارجة من باب الحجرة ، تاركة چاك فى ذهول ، وچوانا مدركة لكل شيء] .

چوانا : ما أعجب هذا ! وهى من بين الناس جميعاً . . . !! يا إلهى ! لكن يا للمذلة ! يا للعار ! [تسعى بسرعة إلى الباب وتدعو ميبل باسمها] .

ميبل : [تعود مسرعة وقد أخذت أهبتها] هل دعوتنى يا چوانا ؟

چوانا : [بحيطة وحذر] أنا أصر على أن تقدمى لى تفسيراً لسلوكك هذا . [ثم فى غطرسة وإعتداد] ماذا كنت تفعلين فى الحديقة يا ميبل ؟

ميبل : [ولم تكن أهـدأ ولا أثبت جناناً طيلة يومها كما كانت فى تلك اللحظة] كنت أبحث عن شيء ضاع منى .

پيردى : [وقد انتعشت آماله] أهو شيء ذو قيمة ؟

ميبل : كنت أظنه كذلك يا چاك . إنه حب زوجي . ألم تعثرى عليه يا چوانا فى فى طريقك ثم أخذتيه ؟ إذا صح هذا ولم تكونى راغبة فى الاحتفاظ به . . . فإنى أرغب فى استعادته ثانية . . . أقصد ما تبقى منه .

[يهم مستر پيردى أن يرد على ذلك ، ولكن چوانا تتولى سد الثغرة المفتوحة ، بكل حكمه وتعقل] .

چوانا : ميبل ؛ اسمعى ، أنا لن أسمح لك بأن تخاطبينى بهذه الطريقة ؛ إذا كنت تلمحين من طرف خفى ، إلى أننى . . . إلى أن زوجك . . . رباه ! يا للخجل !

پيردى : [برقة] أصارحك القول ، يا ميبل أن ظنى فيك قد خاب . لقد أكدت لى بنفسك أنك ستصعدين إلى الطابق العلوى لارتداء حذائك الطويل .

ميبل : وا أسفا عليك يا چاك . يا چاك العجوز

المسكين ! [وبعد هنيهة] امرأة كهذه ؟ !

چوانا : [تنبر كلماتها التي كادت تستخدمها فى الرد ، فى نفس اللحظة التى تنطقها فيها] أنا أغفر لك يا ميبل . لسوف تندمين على ذلك فيما بعد .

پيردى : [محذراً ؛ ولكنه لم يزل متردداً : فى إساءة معاملة زوجه] حذار يا ميبل . ! إياك أن تسيء إلى چوانا بكلمة . آه لو عرفت كيف كانت تذكرك بكل تقدير وإعزاز . إن موقفها منك كان نبيلا طول الوقت .

چوانا : [بتهور] إنها تعرف . كانت تتسمع طول الوقت .

[تمر لحظة خطيرة يخشى فيها أن ينتكس الموقف ، فيصبح شيئاً شبيهاً بما كان يحدث فى العصر الڤيكتورى الوسيط . ولكن لحسن الحظ قيض له رجل شهم ، أخذ على عاتقه أن يرتفع به إلى مستوى أعلى من

ذلك . وكان جون پيردى هو ذلك الفارس الشهم . إنه من ذلك الطراز من الرجال الذين يمقتون اللف والدوران ، وإذا كان قد أحجم عن الكلام ، بصراحة فى أول الأمر ، فليس إلا لأنه كان يتحاشى أن يؤلم شعور ميبل . أما الآن فهو يتكلم ويصرح بكل شىء . ولعله لم يثبت من قبل أنه رجل ملء ثيابه رجولة ، مثلما يفعل الآن] .

پيردى : هذه مسألة ليس لها إلا رجل . لا مفر من أن أكون صريحاً معك كل الصراحة يا ميبل. فتلك هى صفة الرجل الحق . ولوشئت فسأكون صادقاً معك بالقول وبالفعل . فهذا من حقك . أنا لا أستطيع أن أنكر أن چوانا هى المرأة الوحيدة التى تناسبنى فى هذا العالم . ولو أننى التقيت بها قبل أن ألقاك . . . ولكنها القسمة والنصيب فيما أعتقد [ثم ينفخ أوداجه زهواً].

چوانا : [من محاها فى أحد المقاعد] فات الأوان . فات الأوان .

ميبل : [متغاضية عن زهوه الذى لمسته] أحسبك يا چاك لم تعرف ما هو الحب إلى أن التقيت بها ؟

پيردى : أنت تضطريننى إلى أن أقولها . أنا وچوانا شخص واحد . ليس هناك ما نختلف عليه . نحن أقرب إلى شخص واحد منا إلى شخصين .

ميبل : [ناظرة إلى جوانا] تماماً . تماماً . وهذه هى الشخص الواحد ! ! [تمضى فى سخرية مهينة] أنا آسفة إذ أعكر عليكما صفوكما .

پيردى : لو كان هناك من يستحق اللوم ، فأنا الملوم . إنها نقية الثوب طاهرة الذيل . كالثلج الذى تذروه الرياح من السماء . منذ اللحظة الأولى التى ذكرت لها فيها كلمة الحب ، طلبت منى أن أكف وأن أمتنع عن ذكره .

ميبل : لا . لا أصدق أن مثلها تقول ذلك .

چوانا : إذن . كنت تتجسسين !! [وقد دهشت فعلا من بلاده ميبل وبرودها] ألاترين ، ياميبل كم هو إنسان رائع عظيم !!

ميبل : لا . ليس تماماً يا چوانا .

[تخرج . والحق أن ميبل كسيدة أفضل من ذلك بكثير . ولكن عيبها أنها لم تفلح قط فى أن ترتفع إلى مستوى زوجها الرفيع ، مع أنه مد لها يده يساعدها على ذلك] .

چوانا : كان شيئاً رائعاً منك يا چاك أن تتحمل التبعة كلها وحدك .

پيردى : [ببساطة] تلك من واجبات الرجال .

چوانا : ميبل لها أسلوب فظيع فى إساءة الظن بالناس .

پيردى : إذن قد لاحظت ذلك أنت أيضاً . مسكينة ميبل . هذا مما لايحسد عليه أحد .

چوانا : [فى قنوط] لا أبالى الآن بالخروج إلى

الغابة . لقد أفسدت علينا سعادتنا . لقد
جرّدت تلك اللحظات السعيدة من كل
نقاوتها وطهارتها يا چاك .

پيردى : [راسخ كالطود] يجب أن نكون شجعاناً
ولا نعبأ بها . آه يا چوانا ، يا چوانا
لو أننا التقينا فى الوقت المناسب . لو
أمكن أن أبدأ حياتى من جديد . ليس
من العدل فى شيء أن تهدم حياتى هكذا .
إنه ظلم ، ظلم . لا لشيء إلا لأننى أسأت
الاختيار . وضللت الطريق مرة .

چوانا : [تخرج من بين أحضانه] ضللت الطريق ؟
دعنى أتذكر . من الذى قال هذا منذ
قليل ؟ . . . من الذى كان يقصد بها
نفسه ؟ عجباً ! إنه ماتى .

[يسمع وقع خطوات] .

پيردى : [ولأول مرة فى حياته يضيق ذراعاً بزوجته]
أتراها تعود مرة أخرى ؟ هذا شيء
لا يطاق .

[ولكن المتطفلة الجديدة ، كانت مسز ديرث .
يحييها بارتياح] .
آه . إنه أنت يا مسز ديرث .

آليس : نعم . إنه أنا . أشكرك على تذكيرى بذلك يا مستر پيردى . آمل ألا أكون متطفلة .

چوانا : [وقد تنازلت بالقول ، وآلهة السماء لا تتورع أحياناً من أن تفعل ذلك] وعلى أى شيء تتطفلين ؟

پيردى : لا. ليس هذا هو المقصود تماماً . . كنا نرجو أن يكون القادم هو أنت . نريد أن نبدأ الرحلة . ترى ماذا أصاب الآخرين ؟ ما الذى أخرهم إلى هذا الوقت؟ كنا نبحث عنهم فى كل مكان . [يلتفت حوله بغير قصد ، كأنما كان الآخرون موجودين بالغرفة ، ثم اختفوا عن عينه بطريقة ما] .

آليس : [بظرف] فلتواصل بحثك عنهم إذن ؛

هناك ، تحت وعاء الزهر . مكان صالح للاختباء ؛ أما ما أبحث عنه أنا ، فهو زوجي

پيردى : [وكان يحب آليس كل الحب ما دامت فى مكان آخر غير الذى هو فيه] هل أبحث لك عنه ؟

آليس : هذا كرم لايوصف ، يا مسترپيردى ؛ أخشى أن أضايقك ؛ ولكنها ستكون منة كبرى لا أنساها لك .

پيردى : أتدرين ؟ أظنك تمزحين معى ؟

آليس : لا. لا. أبداً . أنا غير قادرة على ذلك .

پيردى : لن أتغيب أكثر من لحظة .

آليس : سأكون أنا ومس تراوت فى انتظار عودتك على أحر من الجمر .

[تنتظران عودته ، وهما جالستان حول إحدى المناضد . وفجأة تغيب آليس فى حلم من أحلام اليقظة بينما ترقبها چوانا . ثم لا تلبث مسز ديرث أن تنتبه إلى نفسها : وقد نلاحظ أن لفمها بسمة فاتنة تدل على روح مرحة] .

نعم . نعم . أظنك على حق . ربما كنت كما تقولين فعلا .

چوانا : [وقد تملكتها الحيرة] أنا لم أقل شيئاً .

آليس : حسبتك تقولين : هذه المرأة « المصيبة » التى جاءت وحشرت نفسها حيث لا يريدها أحد .

[تلم چوانا أطراف جسدها اللين ، كأنما تتحاشى أذاها . ولكن البسمة من أحد الجانبين لا بد أن تقابل ببسمة مشابهة من الجانب الآخر . وهكذا تبتسم السيدتان . وتوشكان أن تتصافيا] .

چوانا : إنك تتمتعين بكل تأكيد بأذنين حادتين.

آليس : [تمط كلماتها] نعم . نعم . كانت أذناى دائماً موضع الإعجاب.

چوانا : [بلهجة ذات مغزى] موضع إعجاب الرسامين حين كنت تجلسين إليهم أيام كنت تعملين كأنموذج للرسم ؟

آليس : [تتفحصها بنظراتها طولا وعرضاً] إذن فهذا الخبر قد ذاع ؟

چوانا : [وقد اعتراها الخجل] ماكان يجب أن أقول ما قلت . أنا آسفة .

آليس [وقد انتهت بسرعة فترة التصافى] أتظنين أنى أعبأ بذلك ، عرفته أولم تعرفيه ؟

چوانا : [تبذل جهدها فى ضبط أعصابها] طبعاً أنت لاتعبأين بذلك . ومع هذا فقد كان قولى ذاك ، سماجة منى .

آليس : إنه لكذلك بالفعل .

چوانا : [تشتعل حنقاً] لا أرى سبباً . . .

[تنفجر مسز ديرث ضاحكة . ثم تتجاهلها تماماً . وما إن يدخل أحد الرجال قادماً من قاعة الطعام ، حتى تنتهز جوانا الفرصة ، وتولى الأدبار . أما القادم الجديد فكان أقرب ما يكون إلى حطام رجل — رجل كان فى يوم من الأيام إنساناً صالحاً خيّرا . ومع ذلك فهو فى فى حالته الراهنة الزرية ، أحسن ما يتمناه لنفسه . وعندما يكون كأس الخمر فى يده ، كما هو الآن ، يتراءى له خيال المدعو « ويل ديرث » أو الرجل الصالح الذى كانه فى الزمن الماضى . فإذا ما انقشعت

غاشية الخمر من عينيه ، رأى ويل ديرث
هذا أمامه ، ولكن يفصل بينهما حقل أخضر
منبسط ، يراه وقفاً بجانب حامل لوحات الرسم
يرسم ويدندن مرحاً طروباً ؛ أو يراه ممسكاً
بقصبة صيد السمك ؛ أو وهو يقفز بخفة
ونشاط من فوق أحد الحواجز الخشبية . وهكذا
يمضى حطام الرجـــل الذى ظهر أمامنا على
المسرح ، يمضى يحدق ويحدق فى الشخص
الآخر الذى كانه ، حتى يذوب الاثنان معاً
فى شخص واحد . وهنا يعمد إلى الكأس التى
فى يده ، فيحتسى ما فيها من خمر مضيفه
لوب دفعة واحدة . وهو عندما يلتقى بالسيدة
التى اختارها شريكة لحياته ، لا يكون سكراناً
تماماً . ولكنه مع ذلك يترنح فى سيره
وعيناه أيضاً مغرورقتان من فعل الخمر .

أما آليس فقد خفق قلبها لهذا الرجل ذات
مرة . أو بمعنى أصح لذلك الرجل الآخر .
كان حبها له جارفاً وكذلك كان حبه لها .
ولكن هذا الحب تبدد وذهب مع الريح .
وهكذا يجب أن نتوقع أن نراها فى أسوأ
حالاتهما . كلما خلا أحدهما بالآخر] .

ديرث : [ولم يكن يفتقر إلى النظرة الفلسفية للحضيض الذى هو فيه] عنـــد ما بلغنى أنك أرسلت فى طلبى يا آليس ، غلبنى زهو غير عادى ، وعادت بى الذاكرة إلى أيامنا الخوالى .

آليس : [ببرود ومضض] إن ما أبغيه ليست صحبتك يا ويل .

ديرث : هل تصدقين ؟ أحسست فعلا أن بيردى لابد قد أخطأ فى تبليغ رسالتك .

آليس : أريد منك أن تحضر معنا فى هذه الرحلة الغريبة . وأن تجعل عينك على لوب.

ديرث : لوب الصغير المسكين ؟ لا. لا. ليس هو بكل تأكيد .

آليس : أنا لاأستطيع أن أعرف حقيقة مقاصد هذا الرجل . قل لى : عندما دعانا لزيارته هنا ، من الذى تظنه كان يقصده بالدعوة : أنت أم أنا ؟

ديرث : أنت بالطبع . وقد صرّح بذلك ،ولم يحاول

إخفاءه ، قال إن هناك شيئاً ما يتعلق بك ، هو الذى جعله يرغب فى حضورك إلى هنا .

آليس : ويل ؛ حاول أن تتذكر : هل حدد وقتاً معينا لحضورنا إلى هنا ؟

ديرث : نعم . لقد أصر على أن يكون الموعد هو أسبوع منتصف الصيف .

آليس : آه . هكذا قدّرت . هل ذكر شيئاً عنه ؟ عن الشىء الذى جعله يصر على حضورى إلى هنا فى أسبوع منتصف الصيف؟

ديرث : لا . ولكنى قدرت أن يكون قد دعاك بسبب جمالك الفتان يا آليس .

آليس : أهذا ما قدّرت ؟ على أية حال ، أنا أريد منك أن تأتى معنا الليلة لمراقبته .

ديرث : لتفقأ عينى ولا أتجسس على مضيفى ! وأى مضيف ؟! هذا الفتى الصغير الذى لا يؤذى بعوضة ؟ لا ، أرجوك يا آليس ، أرجوك

أن تعفيني من هذه المهمة ومع هذا فأنا مشغول الليلة ، مرتبط بموعد .

آليس : موعد ؟ . . . موعد مع زجاجة النبيذ طبعاً .

ديرث : استنتاج معقول . ولكنك أخطأت مع ذلك . ولم يتبق من زجاجة النبيذ إلا الزجاجة فقط . ما أكثر ما تعرفين من أمري يا آليس ! ! أقول إن موعدى هو مع سيجار أدخنه بهدوء فى الحديقة .

آليس : إن يدك مرتعشة . ولن تقوى على إشعال عود الثقاب .

ديرث : سأبذل جهدى [يثبت ذلك عمليا . ثم يرضى عن نفسه لأنه نجح فى إشعال العود] . .

آليس : يا لها من يد فنان عظيم !

ديرث : من النادر أن يدعونى أحد فناناً فى هذه الأيام .

آليس : هذا صحيح من ناحية العمل والإنتاج .

ديرث : لا . بل من ناحية فراغ جعبتى من الأحلام الرائعة الجديرة بأن تصور وتسجل فى لوحات [حانقاً على نفسه] ألم تتساءلى أبداً يا آليس عن علة سقوطى وكيف صرت إلى ما أنا فيه الآن ، ضائعاً مضيّعاً ؟

آليس : أعتقد أن الداء كان فيك منذ البداية .

ديرث : [وربما تراءى له خياله وهو يحمل قصبة الصيد] وأنا أيضاً أرى ذلك ؛ ولكنى على أية حال ، كنت رجلا صالحاً فى أيامى الأولى ، أيام أحببتك أول مرة .

آليس : نعم . هكذا ظننتك . كانت أيام نحس لى ، كما ثبت لنا الآن .

ديرث : [بإخلاص] نعم . لقد أصابك ظلم شديد يا آليس . [يتململ حائراً] لم أكن أعرف فى ذلك الوقت أننى كنت مخطئاً . كنت كبير الأمل فى نفسى وواسع الأمل فيك إلى أبعد حد ؛ يا لله ! اعتدت أن أثب

حينئذ من فراشي وثبا فى الساعة السادسة
صباحاً ، لأقف أمام حامل الرسم !!
نعم . كان الدم يجرى حاراً فى عروق فى
تلك الأيام . أما الآن فأنا فى منتصف
العمر ، ولكنى انتهيت تماماً كإنسان .
شيء عجيب حقاً ! ألا تعرفين كيف
حدث هذا ؟ ألا تعرفين السر الغامض
الذى أخرس صوت الموسيقى ؟
[وقد خفّت دهشه نوعا] ترى منذ متى
بدأت تحتقريننى يا آليس ؟

آليس : عندما عرفتك على حقيقتك يا ويل .
منذ وقت بعيد .

ديرث : [وقد غشيت بصره الغاشية] . نعم أظن هذا
صحيحاً . كان ذلك منذ وقت بعيد ؛
قبل أن أبدأ أنا فى احتقار نفسى . أنا لم
أنحدر إلى الحضيض إلا عندما عرفت
أننى سقطت فى عينك ، عندما عرفت
أنك لم تعودى تحملين لى ذرة من الاحترام

ألا تعترفين بهذا ؟ ألا تعترفين بأننى
حاولت — ولو قليلا — أن أقاوم ؟ آه
لو أنك اكترثت لشأنى فى تلك الأيام ! !
ربما لم أكن قد انتهيت إلى هذا المصير.
أليست هذه هى الحقيقة ؟

آليس : الواقع أننى أحسست فى نفسى أنك لم
تعد تعنينى فى شىء ، ومن ثم لم أعد
أهتم بشأنك. ولم يكن لدى من النفاق
ما يحملنى على التظاهر أمامك بغير
ذلك . ربما كانت خشونة منى ، ولكنك
كنت تعجب دائماً بخشونتى .

ديرث : خشونتك ؟ أجل خشونتك البدائيةالحبيبة !
أنت أيها الحيوان البرى الشرس ! ! كانت
صورتك فطرية واضحة بدون أى ظلال
أو زوايا خفية ؛ قبّل أو اقتل . ألم يكن
هذا هو شعارك فى الحياة ياآليس ؟
أحسست منذ اللحظة الأولى التى وقع

بصرى فيها عليك ، أنك إما أن تحبيني
أو أن تقتليني . .

[تلمع فى سمائهما المظلمة ذكريات نجمهما السعيد ، ذكريات أيامهما الباسمة ، ولكنها لا تدوم إلا بمقدار ما تحترق ورقة حتى تصير رماداً] .

آليس : ولكنى لم أقتلك .

ديرث : لا . وكانت غلطة منك فيما أعتقد . إن التجربة شديدة الوطأة عليك أيها السيد العجوز . [تترقرق عيناه من الخمر]
أحسب أن الأوان قد فات لرأب الصدع وعودة المياه إلى مجاريها . . ؟

آليس : فلنكن صرحاء مع أنفسنا ؛ لقد فات الأوان يا ويل .

ديرث : [وفى دموعه رائحة الخمر] ربما كان يتغير الحال لو أننا رزقنا بأولاد . . . . .
وا أسفاه ! !

آليس : الأولاد نعمة كبرى بحق خصوصاً إذا

كبروا ورأوا أى طراز من الآباء أبوهم .

ديرث : [يلتزم جانب العقل كعادتة دائماً] أنت على حق . والآن يا آليس إذ أعترف لك بأن الغلطة كانت غلطتى من البداية ، فإنى أعرب لك عن أسفى الشديد من أجلك .

آليس : لقد أسفت على نفسى بما فيه الكفاية . لو لم أتزوجك ، فما كان أبعد الفارق بين حالتى الراهنة ، وما كنت سأصير إليه ! لشدّ ما كنت حمقاء !!

ديرث : آه! إنهم يقولون : هناك أشياء ثلاثة لاتعود ثانية بأى حال من الأحوال . سواء بالنسبة للنساء أو للرجال : الكلمة بعد النطق بها ، وأيام العمر بعد فواتها ، والفرصة بعد إهمالها . إنى لأسأل نفسى يا آليس ، ترى ما الفائدة التى تعود علينا فيما لو أتيحت لنا هذه الأشياء من جديد ؟ هل

تعتقدين أننا سنستفيد منها أكثر مما فعلنا
في الماضى ؟

آليس : أما بالنسبة لك ، فلن تستفيد شيئاً قط.

ديرث : [وهو يغالب الفواق] أظنك على حق .

آليس : ولكن بالنسبة لى . . .

ديرث : [بحرارة وإخلاص] لو حدث هذا بالنسبة
لك فسيكون نعمة وبركة عليك . ولكنى
أطمع ألا يكون المدعو فريدى فنش فاللو هو
بديلى . فقد نمى إلىّ أنه عاد إلى مطاردتك
مرة أخرى . [وكان أبعد ما يكون عن
تهديدها بهـذا القول . فإن نبرته أضعف
من ذلك] .

آليس : لقد كان يطاردنى — على حد قولك —
قبل أن أعرفك . وأنا لا أجد سبباً واحداً
لصدودى عنه .

ديرث : إن قلبك يا آليس هو الذى أنبأك بأنه
إنسان فاسد لا خير فيه .

آليس : وأيضاً أنبأني قلبي أنك إنسان صالح فيه كل الخير . وها أنت ذا ترى أن قلبي لم ينفعني كثيراً .

ديرث : إن السيد فريدى فنش فاللو المحترم ، هو إنسان قذر سافل .

آليس : [وهى أبداً أسرع إلى الهياج] طبعاً أنت خير حجة فى هذا الموضوع . .

ديرث : [بابتسامة كسيرة ، ابتسامة من يعرف قدر نفسه] — أما فى هذا فإن لك الغلبة علىّ .

[ينتهى هذا الحوار العائلى الطريف ، ثم يتخذ ديرث طريقه إلى الحديقة ، وهو منكس الرأس هواناً وذلا . ولكن تحول بينه وبين بلوغ الباب ، عودة الآخرين بقضهم وقضيضهم . كانوا ما يزالون فى ثياب العشاء ، وإن طرحوا فوق أكتافهم العباءات والملافع ، وقد تجمعوا عند الباب وهم يثرثرون] . .

لوب : هاهما ! هل أنت على استعداد يا سيدتى العزيزة ؟

مسز كود : [وقد لاحظت أن يد ديرث تمتد إلى ستائر النافذة] ألن تأتى معنا للبحث عن الغابة يا مستر ديرث ؟

ديرث : وا أسفاه ! شيء ما عاقنى عن ذلك ، شيء لا يمكن تجنبه ! ستجدوننى فى الحديقة عند عودتكم .

چوانا : [التى استعادت مرحها] هذا إذا كنا سنعود قط .

ديرث : بالضبط [ينحنى انحناءة المخمور] إذا لم يكن لنا أن نلتقى مرة أخرى يا آليس ، فهأنذا أقول لك وداعاً . وأنت يا پيردى إذا عثرت فى الغابة على شجرة المعرفة ، فهات لى تفاحة منها .

پيردى : أعدك بذلك .

لوب : هلموا ! هلموا ! أسرعوا لا يجب أن يرانى ماتى .

[يطفئ الأنوار] .

ليدى كارولين : [مندفعة] ماتى ؟ وما أهمية ذلك يا لوب ؟

لوب : لو رآنى لحملنى بالقوة إلى الفراش ؛ فقد فات ميعاد نومى .

كود : [ولم يكن راضياً بصحبتهم] أتدرى أيها الرفيق العجوز أنك تزيد الأمر صعوبة علينا بهذا الجو من الخوف الذى تحدثه ، ونحن ما زلنا فى بداية المغامرة ؟

ديرث : أما بالنسبة لى ، فالحديقة هى وجهتى .

[يتجه إلى النافذة ؛ ويتجه الآخرون إلى الباب . ولكنهم لا يخرجون . تقوم عقبة فى سبيلهم ، لا يعرف مصدرها . . . . . ربما جاءت من مكان ما بالقرب من النافذة . أما ديرث الذى شرع يجذب الستائر ، فقد أفلتها من يده ، فعادت إلى حالها الأول ، أفلتها من يده ، كما لو كان قد أصيب ، بصـــدمة مفاجئة . والحق أن جميع الموجودين ظلوا يذكرون حتى بعد هذه الحادثة بوقت طويل ، وجهه الحزين المتقلص وهو يعود أدراجه فى

صمت ، ويضع سيجارة على المنضدة .
الحجرة الآن غارقة فى الظلام فيما عدا أضواء
مصباح واحد] .

پيردى : [مستفسراً] والآن ماذا تقول يا ديرث؟

ديرث : ما الذى سيعود علينا من رحلة الغابة
يا لوب ؟

آليس : آها : ذاك سر ، لن يفشيه .

لوب : [منكمشا] هلموا ! . . . هيا بنا .

آليس : [وقد أصابتها العدوى من زوجها] بل
قل لنا أولا . . .

لوب : [يضطر للكشف عن السر] . يقولون
إن من يدخل الغابة يحصل على كل
ما يتمناه . كل ما يتمناه أى واحد من
الموجودين هنا تقريباً . . . أى يمنح
فرصة ثانية فى الحياة .

[تنشرح صدور السيدات جميعاً فى وقت
واحد] . .

چوانا : [نيابة عن الجميع] إذن فقد كانت هذه الأمنية، هى الشىء الذى نشترك فيه كلنا ؟

كود : [فى أسى] كثيرا ما فكرت يا كودى، فيما لو أتيحت لى فرصة ثانية فأقول لنفسى : من المحتمل أن أكون شخصاً نافعاً بدلا مما أنا الآن : مجرد متعطل لا يسعى إلا وراء المرح والسرور.

آليس : [مكتئبة] فرصة ثانية !

لوب : هيا بنا !

پيردى : [مستبشراً] نعم ... إلى الغابة ... إلى الغابة !

ديرث : [وقد رآهم يخرجون من طريق الباب] مهلا ! لماذا من الباب ؟ [يجذب الستائر فتنفرج . يحبس الجميع أنفاسهم ، ذلك أن الحديقة قد زالت من الوجود ، واختفت ، وحلت محلها غابة مترامية ، لا آخر لها . وكلها أشجار ضخمة كثيفة . وكانت أقرب الأشجار ملتصقة بالنافذة . وكانت الغابة

ساكنة معتمة ، يسيطر عليها غموض كئيب ،
وتتخللها أشعة خافتة من ضوء القمر ،
تتعاقب معها ظلال سوداء . كان كل شيء
فيها ساكنا بلا حراك .

تقف جماعة المغامرين هم أيضاً ، ساكنين
بلا حراك ، لا يكاد يسمع لهم حس أو حتى
نفس يتردد . ومن عجب أن لوب كان
أشدهم هلعاً . ثم أخذ هلعه يفصح عن نفسه ،
فبدأ ينادى ماتى بكلمات مختلطة غير مفهومة .
ولكنها كانت استغاثات بغير جدوى . أما أول
كلمات مفهومة نسمعها ، فكان صاحبها
هو ديرث] .

ديرث : [بكل ثبات] هل فيكم المغامر الجسور ،
ليقدم على هذه الرحلة ؟

پيردى : [بعد فترة صمت أخرى] طبعاً . ليس
هناك أى خطر فيها . . . ليس إلا . .
ليس إلا . . . .

ديرث : [بحدة] طبعاً . طبعاً . أأنت ذاهب
يا پيردى ؟

[بيردى يتراجع منكمشاً]

مسز ديرث : [وهى الوحيدة التى لم يصبها الهلع] فرصة ثانية ! فرصة ثانية !

[تنظر إلى زوجها . كلهم يتجهون إليه ، كأنه كان ذات يوم قائداً وزعيما] .

ديرث : [بابتسامته الحزينة العذبة] سأعود إليك حالا . . . ربما .

[يدلف إلى الغابة . وما إن يخطو أولى خطواته فيها حتى ترتفع يده إلى جبهته ، كأنما قد تلقى عليها ضربة من مطرقة . وسرعان ما يبتلعه الظلام فيغيب عن الأنظار] . .

ليدى كارولين : [بعد فترة صمت طويلة] إنه لم يعد . لم يظهر له أثر .

مسز كود : هذا شيء فظيع .

[تتسلل بسرعة ترجو النجاة بنفسها عن طريق الباب . تدعو إليها زوجها ليتبعها . يخطو هذا فى أثرها خطوة واحدة ، ثم

يتوقف فى مكانه كأنما سحرته الكلمات التى سحرت الجميع . فرصة ثانية ! فرصة ثانية ! يستمر السكون ويمتد . أخيراً تتقدم مسز پيردى إلى الأمام . تخطو إلى داخل الغابة ؛ ترفع يدها إلى رأسها ؛ ثم تغيب عن الأنظار] .

پيردى : ميبل !

آليس : [ساخرة] دورك الآن يا مستر پيردى .

[ينظر إلى جوانا ، ثم يدخلان الغابة معاً ، يتلقى كل منهما ضربة من المطرقة] .

لوب : هذا يكفى . هذا يكفى [محذراً] لا تذهبى يا مسز ديرث . ستصيبك العدوى لو ذهبت .

آليس : فرصة ثانية ! فرصة ثانية !

[تتقدم إلى الأمام بلا تردد] .

ليدى كارولين : الإنسان فقط ، يود لو يعرف . . .

[ثم تذهب . يسمع صوت مسز كود من أعلى الدرج وهى تنادى زوجها . يتردد هذا

قليلا ، ولكنه يمضى فى أثر ليدى كارولين ؛ يبقى لوب وحده ؛ يأتى إليه ماتى ، وكان يحمل « صينية » عليهـا فناجين القهوة] . .

ماتى [يضع الصينية على المنضدة] فات موعد نومك يا سيدى ؟ حيى السيدات تحية المساء ثم تعال معى .

لوب : انظر . انظر يا ماتى !

[ماتى ينظر] .

ماتى : [متراجعاً فى خوف شديد] يا إله السموات ! إذن فالحكاية حقيقية كلها .

لوب : نعم . لكنى . . . لكن . . . لم أكن متأكداً

[يقترب ماتى من النافذة فى حذر ، ليلقى نظرة ليس إلا ؛ وإذا بسيده يدفعه من الخلف دفعة مفاجئة تلقى به فى أحضان الغابة . نرى لوب وظهره متجه نحونا .

كان يقف وحيداً يحملق فى المجهول .
كان الفزع قد بلغ به حداً أبقاه فى
مكانه جامداً كالتمثال ؛ ومع ذلك فقد كانت
هزة النشوة تسرى فى هيكله الضئيل ،
صاعدة هابطة] .
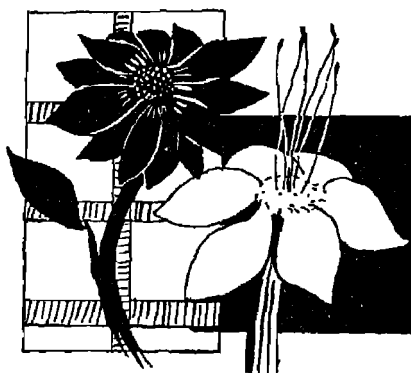
[ينتقل بنا المنظر إلى أعماق الغابة ؛ والليلة قمراء ساحرة ؛ وتظهر بين أشجار الغابة فجوات خالية يسمع فى بعضها صوت البلبل وهو يصدح . أما فى الفجوة التى أمامنا ، فنرى اثنين من الآدميين سبق أن عرفناهما من قبـل فى ظروف جد مختلفة ، نراهما الآن وقد استسلما للراحة واسترخت أجسادهما فى أتم دعة وطمأنينة . لقد بدلت الفرصة الثانية من حاليهما ، فأصبحا زوجين . أما الرجل فضخم الجثة متين البنيان ، وكان مستلقياً على ظهره ، وقد خلّى الهموم وراءه ظهرياً ، كأنه فى روضة من رياض النعيم . وكانت تنبعث من هيئته دلائل البذخ والثراء الشديد . ونلاحظ أن ثمة جزء بارز من هيكله الضخم ، يخفق خفقات هادئة رقيقة ، مثل موجة صغيرة عابثة تتلاعب على سطح بحر عريض ساكن ، وتأبى أن تركن الرقاد . وكانت على وجه الراقد العظيم ، منديل يحجبه عنا . فلا ندرى أى عظيم

من العظماء هو ، بل أى عملاق من العماليق يكون . أما قرينته فلم تكن إلا سيدتنا المعروفة ليدى كارولين . يمضى البلبل فى تغريده ؛ وتشترك معه ليدى كارولين فى الغناء] .

* * *

ليدى كارولين : ألا ترى أنها ليلة رائعة يا جيم ؟ استمع ، استمع يا حبيب الفؤاد إلى صوت العندليب ؛ إنه يقول : لقد تزوجت منذ وقت قريب . وهكذا نحن أيها الصغير الجميل . أحس يا جيم ، كأنى روزالند وكأنك حبيبى أورلاندو .

[يزيح المنديل عن وجهه ، فيطالعنا منه وجه المستر ماتى ؛ وعلى الفور ، ينتقل البلبل إلى شجرة أخرى بعيدة] .

ماتى : ماذا كنت تقولين عنى ؟ ومن هذا الذى أشبهه يا كارولين ؟

ليدى كارولين : [تصفق بيديها طرباً] يا حبيب الفؤاد ألا ترى هذا بديعاً ؟ ماذا لو نظمنا قصائد

الغزل فى أحدنا الآخر ، ثم ثبتناها فى جذوع الأشجار ؟ .

ماتى : [يتجمل بالصبر] قصائد غزل ؟ ليست هذه فتاتى التى أعرفها . أنا لم أعرف قط فتاة تتشدق بالشعر الفصيح.

ليدى كارولين : بل هى فتاتك يا أعز الناس ! حبيبة جيم .

ماتى : [يجذب أذنها] وإياك أن تنسى ذلك .

ليدى كارولين : [بفضول الأنثى] ترى ماذا تفعل لو نسيت ، أيها الدب الكبير ؟

ماتى : أؤدبك بالعصا .

ليدى كارولين : [مزهوة به فخورة] كم أحب أن أسمعك تتحدث بهذه الطريقة ! يا لها من رجولة وفحولة ! كنت أعرف طول الوقت ، أننى لا أحتاج فى الحياة إلا إلى سيد قوى .

ماتى : نعم . هذا هو كل ما أنتنّ فى حاجة إليه جميعاً .

ليدى كارولين : تماماً . تماماً . أنت لايغيب عنك شيء .

ماتى : اسمعى ياكارولين [يضرب بيده على جيبه حيث يحتفظ بنقوده ؛ فينبعث منه رنين الذهب والفضة] . . هذا هو الشىء الذى يستهوى قلوب النساء .

ليدى كارولين : كم كسبت هـذا الأسبوع أيها الساحر العجيب ؟

ماتى : [بكل بساطة] مائتين أخريين أو نحـو ذلك . هذا كل شىء . فقط مائتين أخريين أونحو ذلك .

ليدى كارولين : [تربت على خاتم زواجها] بالله اصغ إليه يا قيدى الذهبى العزيز . وأنت يا جيم ناشدتك الله أن تقبل هذا القيد الذى يربطنا .

ماتى : انتظرى حتّى أشعل هذا السيجار .

ليدى كارولين : دعنى أمسك لك عود الثقاب الحبيب.

ماتى : يا له من تاج صغير جميل هذا القيد ! لقد مر علينا زمان كان ثمن مثل هذا الخاتم يذهب بأجرى فى يومين اثنين .

ليدى كارولين : ترى هل كنت أقع فى حبك يا جيم ،
إذا كنت قد عرفتك وأنت فقير ؟ تصوّر
أنك أنت ، كنت ذات يوم واحداً من الكتبة ؟

ماتى : [وقد مرت بخياله صور نابليون وآخرين]
كلنا لنا بداياتنا الصغيرة . ليس المهم كيف
تبدئين يا كارولين ؛ فمهما تكن بدايتى
فقد كنت على ثقة من أن أبلغ القمة على
أية حال . [وقد أصبح هو الآخر شاعراً
من الشعراء] أنا من الذين يتسلقون
إلى قمم المعالى ، أما من يجيئون ورائى
فقد جعلت لهم المسامير التى فى نعل حذائى .
لو أننى اشتغلت فى صناعة الأحذية ،
لأصبحت الحذّاء الأول فى لندن لا مراء .

ليدى كارولين : [وقد عادت إليها أخيراً روحها الساخرة]
أنا متأكدة من ذلك يا جيم . ولكن
هل كنت فى هـــذه الحال ستقوم
بتفصيل أحسن الأحذية ؟

ماتى : [وقد تمنى كأى زوج محب لزوجته ،

لو أن الناس جميعاً كانوا حاضرين يسمعون قوله] جميل منك هذا يا كارولين ؛ هذا أحسن شيء سمعته أذناى منك ؛ ولكن الوقت أصبح متأخراً ؛ وخير لنا أن نأخذ طريقنا على مهل إلى عربتنا الرولزرويس .

ليدى كارولين : [وهما ينهضان] أخشى أن تكون الأرض مبللة .

ماتى : هذا لا يهم ، فقد كنت راقداً على السجادة .

[ولا نلبث أن نتبين من حالة ثيابهما ، أنه كان فعلا يحتل السجادة كلها ، أما هى فكانت راقدة على الأرض الجرداء الرطبة ، تدخل چوانا فى الممر ، وقد أصبحت الآن امرأة تعسة منكودة الحظ بعد أن حصلت على ما كانت تريد . كانت فى ثياب ريفية ولم يكن الزوجان يعرفانها ، وهى بالمثل لم تكن تعرفهما] .

ماتى : من تكون هذه الرفيقة المحزونة ؟

چوانا : [فى تردد] بالله عليك يا سيدى ! أما رأيت

زوجى ماراً من هنا ؟ لقد فقدت أثره
فى الغابة .

ماقى : نحن أنفسنا غرباء عن هذا المكان يا مدام ؛
هل مررنا بأحد فى طريقنا ياكارولين؟

ليدى كارولين : [على استحياء] وهل كنا سنشعر بمروره
يا عزيزى ؟ أتراه هو ذلك السيد العجوز
المحترم ، الذى يبدو قادماً من هناك ؟
[وكانت قد أخذت عن زوجها ألفاظه
الأثيرة . وتلك لعمرى خصلة حميدة من خصال
الأزواج السعداء] .

چوانا : لا ، لا . إن زوجى شاب صغير السن ؛
[أما الرجل العجوز المحترم المشار إليه ؛
فكان رجلا من أهل الغابة وساكنيها ،
وكان بعينه مستر كود . كان فى ثياب
الحطابين ، وفى فمه صفارة صنعها من
بعض الأغصان . نراه الآن وهو ينتقل
ويدور بين الأشجار فى خفة راقص بارع .
وكانت تنبعث من صفارته ألحان عذبة

ساحرة . وتلك كانت حرفته الجديدة] .

ماتى : [يشسير إلى القادم المجهول أن يتقدم]
يبدو عليه أنه عصفور عجوز مرح :
مساء الخير يا سيدى . هل تصادف
ورأيت فى طريقك شاباً صغير السن منذ
هنيهة ؟ إنه يمشى بمفرده باحثاً عن زوجته.

كود : [وقد حرك ساقيه حركات راقصة]
لا أظن أننى رأيته .

چوانا : [فى اكتئاب وانكسار] ليس من
الضرورى أن يكون بمفرده ؛ كما لا أعرف
ما إذا كان يبحث عنى حقا ؛ ومن المحتمل
أن تكون معه سيدة شابة :

[تبتسم السيدة الأسعد حظاً فى زواجها .
فيشتعل غضب چوانا] .

چوانا : ماذا تقصدين بذلك ؟

ليدى كارولين : [فى عناد] أوهوو : هوو : هوو إذا
كان هذا يعجبك :

ماتى : لا ، لا ، لا. أين هى آدابك فى السلوك
يا كارولين ؟

كود : هل هو يرقص ويغنى أثناء سيره ؟

چوانا : لا . . . أوعلى الأقل آمل ألا يفعل ذلك.

كود : [وهو الفنان حتى أطراف أنامله] تأملين ألا يفعل ذلك ؟ عجباً ! إذا لم يكن يرقص أويغنى فمن المستبعد جداً أن يثير التفاتى ؛ ولكن لو وقع بصرى عليه فبأى اسم أدعوه ؟

چوانا : [وقد خلت من كل أثر للبهجة] پيردى؛ أنا مسز پيردى .

كود : سأحاول أن أعثر لك عليه . فإذا رأيته... ولكنى الآن مشغول . .

[وكان بذلك يشير إلى ساقيه اللتين كانتا تتدربان على رقصة جديدة . كان يتمايل ويهتز فى وقفته ذات اليمين وذات اليسار . يعيد الصفارة إلى شفتيه ويستأنف العزف . ثم يواصل السير فى طريقه إلى . . الجنة] .

چوانا : [تنظر فى اتجاه آخر] آسفة لإزعاجكما . لقد رأيته الآن .

ليدى كارولين : أهو بمفرده ؟

[تحملق چوانا فى وجهها] آه . أرى فى
فى وجهك أنه ليس بمفرده .

ماتى : [وما زال نعم المؤدب لزوجته ونعم السيد]
كارولينى ! ، لا داعى للأسئلة المحرجة .
عمى مساء يا مدام . أرجو أن تتمكنى من
إقناعه بالذهاب معك فى هدوء . [ينظر
فى أثر كود] انظرى إلى ذلك المهرج
العجوز وهو يرقص .

[يمشى هو وزوجته فى أثر العجوز الراقص ،
ثم يقلدانه فى رقصته ، وقد شملهما مرح
مثل مرح الأطفال ، بينما تختبئ چوانا
وراء إحدى الأشجار فى انتظار سيدها
وبعلها . يقترب پيردى مرتدياً بنطلون
الرحلات القصير الذى يضيق أسفل الركبتين .
وكانت تساوره الشكوك فى أن زوجته
قد تكون مختفية فى مكان ما . ولكنه سرعان ما
يطرح عنه وساوسه ، ويشرع فى الرقص
سعيداً مسروراً . وكانت معه خليلة حلوة
اسمها ميبل . يطارد أحدهما الآخر من شجرة
إلى شجرة ، ولحسن الحظ لا يقتربان من
شجرة چوانا] .

ميبل : [وقد أمسك بها] لا . لا . وألف مرة لا . أنا لا أكاد أعرفك معرفة كافية ، لكى أسمح لك بذلك . ثم ماذا تقول زوجتك؟ سأضطر إلى أن أغيّر رأيى فيك يا مستر بيردى. سأعتبرك من الآن رجلا خطراً من الذين تخشاهم النساء يا مستر پيردى .

پيردى : [بلا مطعن أو مظنة فى إخلاصه] يمكنك الآن أن تناديني چاك .

ميبل : [وصدرها خفاق] قد أفعل ؛ ولكن بشرط أن تكون مؤدباً يا چاك .

پيردى : [من وحى أفكاره النبيلة السامية] آه لو أن چوانا كانت مثلك ؟ !

ميبل : مثلى ؟ تقصد وجهها ؟ إن وجهها . . أعتقد أنه وإن لم يكن جميلا بمعنى الكلمة ، إلا أنه مقبول . [ثم بكياسة] وجهها لا يعنيني أبداً . ويسرني أن لك مثل هذه الزوجة الصغيرة التى يمكنك الاعتماد عليها .

پيردى : [فى اكتئاب] أشكرك .

ميبل : [تجلس وشعاع من الضوء فى حجرها] ماذا يمكن أن تقوله چوانا إذا ما رأتك الآن ؟

پيردى : يجب على الزوجة ألا تعرف الغيرة .

ميبل : چوانا تغار ؟ هل عندها سبب واحد للغيرة ؟ قل لى يا چاك ، من هى المرأة التى تحبها ؟

پيردى : [يسيطر على عواطفه بجهد جبار ، لأنه يحرص دائماً على أن يكون مخلصاً مع چوانا] . . أحقاً تريدين معرفة ذلك يا ميبل ؟ هل أصرّح لك باسمها ؟

ميبل : [تتراجع وإن لم تلق السلاح تماماً] هل يمكننى أن أخمّن اسمها ؟ هل سبق لى أن رأيتها ؟

پيردى : أنت ترينها كلما نظرت فى المرآة .

ميبل : [وقد مالت برأسها جانباً] عجباً ! هذا

مستحيل يا چاك . كلما أنظر فى المرآة لا أرى إلا نفسى !

پيردى : [ملتذاً بالموقف] ما أحلى براءتك يا ميبل. لو كانت چوانا فى مكانك لفهمت مرادى على الفور .

[يتسلل مراده ببطء إلى تلافيف عقلها ، فترتاع] .

ميبل : لا. ليس ذاك .

پيردى. : [وقد اضطرمت عواطفه] هل أقول لك الآن ؟

ميبل : [يخفق قلبها بشدة] لا أعلم . لست متأكدة حاول ألا تبوح به يا چاك . ولكن إذا كانت هناك ضرورة لذلك ، فلتقله بطريقة لا تجرح شعور چوانا ، كما لو كانت موجودة بالقرب من هنا بمحض الصدفة. وهو ما يحدث دائماً .

[تصدر من نحجرة چوانا أنة . خافية ، ولكنها تمر دون أن تلحظ] .

پيردى : أوثر أن أكتمه فى صدرى إلى الأبد ،
على أن أقوله بالطريقة التى وصفتها .
[يتململ بصورة مؤثرة حقاً . لقد
احتدمت فى صدره رغبة جارفة ، فى
أن تعرفه ميبل على حقيقته بلا تظاهر
ولا تكلف] لست أدرى ياميبل ما إذا
كنت قد لاحظت علىّ أننى أختلف عن
غيرى من الرجال [يغوص غوصاً فى
دخيلة نفسه] لقد كنت طيلة حياتى
كالروح الهائمة الشريدة التى كتب عليها أن
تضرب فى الأرض وحيدة فريدة . بل
إننى عندما كنت طفلا صغيراً ، فقدت
كل أمل فى أن تتغير حياتى . أنا أذكر
بكل وضوح وأنا ابن السادسة أنى كنت
أشعر بأنى أختلف عن سائر الصبيان .
وقبل أن أبلغ الثانية عشرة ، عانيت معاناة
شديدة من عدم تقديرى لنفسى . بل
ما زال هذا الشعور يعذبنى حتى الآن .
لا أظن أن فى هذا العالم من لايقدر نفسه

حق قدرها ، بل يستصغر شأنها مثلى .

ميبل : أأنت تقول هذا يا جاك ؟ أنت الذى هو قبلة الأنظار ، وموضع إعجاب الجميع ؟

پيردى : كل هذا لا قيمة له ؛ أنا ما زلت خير من يصدر الحكم على نفسى . أخشى يا ميبل أن تكون روحى روحاً شريرة ؛ نعم . نعم . دعينى أبُح بكل شىء لك ، ولو هبط ذلك بمكانتى فى عينيك . . . آه فى عينيك ؟ أنا لا أكاد أذكر يوماً واحداً أو لحظة واحدة من عمرى لم أعتبر الحب فيها أعظم عاطفة يفنى فيها الإنسان . لقد جلوت حقيقته يا ميبل وبلوته كما لم يبله إلا القليلون . كنت أراه دائماً الفرحة الغامرة التى تثلج صدور الناس جميعاً اللهم إلا صدرى . لقد كنت آمل أكثر ممـــا ينبغى من النساء . ومرد ذلك أنى كنت أكثر حساســية بالحب

في أعماق من الآخرين وفى هذا سر مأساتى . .

ميبل : ثم التقيت بچوانا .

پيردى : نعم ثم التقيت بچوانا . وما كان أشد حمقى حينذاك ، إذ حسبت أنها ستدرك أننى أعمق غوراً مما تبديه الكلمات القليلة التى كنت أوجهها لها . ما أحسب أن رجلا قبلى ، قد وضع فى مثل موقفى هذا . ماذا كان على أن أفعل ؟ ثم لاتنسى ما قلته لك وهو أننى كنت مؤمناً تماماً بأن الحب الأمثل لن يطرق قلبي أبداً . كنت مؤمناً بأنه مهما تكن الظروف فستظل روحى تهيم فى الدنيا وحيدة .

ميبل : چوانا ، چوانا ، كيف طاوعتك نفسك على فعل ما فعلت ؟ . .

پيردى : [بحزم] إياك أن تنطق بكلمة واحدة فى حقها يا ميبل . لوكان هناك من يستحق اللوم فأنا وحدى الملوم .

ميبل : وهكذا تزوجتها .

پيردى : وهكذا تزوجتها .

ميبل : بدافع الشفقة ؟

پيردى : اعتبرت هذا فرضاً علىّ كرجل . كنت كالطفل الصغير فى معالجتى لأمور الدنيا . كان يسعدنى جداً أن أقوم بالتزامات المرأة ، ويلذ لى أن أرى ثيابها متناثرة فوق المقاعد فى حجرتى . ثم مضى الوقت وتبددت تلك النشوة الصبيانية . ومع ذلك فأنا لم أكن تعساً فى تلك الأيام ، لأننى كنت قد وطنت نفسى على ألا أطمع فى الكثير من وراء الزواج ؛ كنت على يقين من أنه لاتوجد المرأة القادرة على سبر غورى والوصول إلى أعماق نفسى .

ميبل : ثم التقيت بى .

پيردى : ثم التقيت بك .

ميبل : فات الأوان . . . مستحيل . . أبداً . . إلى الأبد . . أبداً . . تلك هى أتعس وأنكد كلمات فى اللغة الإنجليزية .

پیر دی : فی تلك الأثناء كنت أعرف كلمة ، أتعس وأنكد من هذه الكلمات : تلك هی كلمة « چوانا » .

میبل : ما الذی رأيته فیّ وجعلك تقع فی حبی ؟

پیر دی : [وهو يسبر غور عواطفه] أحسبه الشعور بأنك مثلی تماماً .

میبل : [وقد اتسعت عيناها اتساعاً عظيماً] هل شعرت بذلك حقاً يا چاك ؟ إن هذا لما يثير فزعی أحياناً .

پیر دی : نفس الأفكار تجول فی أذهاننا ؛ نفس الخواطر تمر بنا ؛ نحن لسنا شخصين ياميبل نحن شخص واحد ؛ إن شعرك . ؟ .

میبل : چوانا تعلم أنك معجب بشعری . ولهذا صففت شعرها على طريقتی ، ومكثت على ذلك مدة أسبوع .

پیر دی : لم ألاحظ هذا أبداً .

میبل : وهذا ما جعلها تكف عن المحاولة . فلم تكن تلك الطريقة ملائمة لها فعلا . [ثم

بعد فترة تأمل] لا أكاد أجد طريقة
للتصفيف تلائم شعر چوانا العزيزة .
ما هذا الذى تهمهم به لنفساك يا چاك ؟
لاتخفى عنى شيئاً .

پيردى : كنت أستعيد فى سرّى قصيدة نظمتها .
إنها تتألف من كلمتين اثنتين « ميبل
پيردى — ميبل پيردى » هل أعلمك
إياها أيتها الحبيبة ؟ قولى بعدى : « ميبل
پيردى — ميبل پيردى ! » .

ميبل : [تضع يدها الصغيرة على فمه وهى خجلى]
لو قلتها يا چاك لكنت غــير
مخلصة لجوانا ؛ وإياك إياك أن تطلب
منى أن أكون غير مخلصة لها . هيا بنا
ننطلق فى طريقنا .

پيردى : [وعواطفه المحمومة لا نرحمه] قوليها .
قوليها يا ميبل . انظرى : هأنذا أنخطها
على التراب بمظلتك .

ميبل : إذا كان ذلك ضرورياً يا چاك ، فسأهمس بها فى أذنك .

[تهمس بها وهما يسيران . ولم يكونا شخصين ؛ بل شخص واحد . ثم يمعنان فى الغابة سيراً ، وقد وثقا كل الثقة بنفسيهما . وكانا فى ذلك صادقين غير منافقين . تقفو أثرهما شبح چوانا الأشعث الأغبر المهيض الجناح . ثم يستأنف البلبل أغنيته الغرامية . تخاطبه چوانا ساخرة « هذا هو كل الذى تعرفه أيها الطائر ! » ولم يكن البلبل يقصدهما بغنائه ولا كان يعرّض بها ، بل كان يعنى زوجاً آخر من الآدميين :. كان يعنى شخصين آخرين لحهما عن بعد . كانا يتسابقان فى الغابة . والفائز منهما هو الذى يعثر قبل رفيقه على البقعة التى قوأيم فيها حامل الرسم فى الليلة السابقة . ولم يكن هناك شك فى فوز الصبية الصغيرة . لأنها كانت أخف وزناً وأصغر سناً . ولأن أباها كان يضيع جهده فى الغناء أثناء جريه . وكانت الابنة فضلا عن ذلك أسرع عدواً ، وكانت تسبقه منذ البداية . ونرى أعشاباً وأشواكاً عالقة

بثوبها . كما كانت إحدى فردتى حذائها مبتلة بالماء . وكان النمش ينتشر فى وجهها بعدد ما فى السماء من نجوم . والبنت جميلة بالقدر الذى يصل إليه خيالك . وعمرها هو أجمل عمر تريد أن تكون ابنتك فيه ، وأن تبقى فيه . تصدر عنها صيحة الظفر . فتلفت انتباه أبيها . وتعلنه بأنها بلغت البقعة المقصودة] .

مرجريت : أبتى . أبتى . كسبت . أنا التى كسبت السباق . هذا هو المكان .

[يتقدم الرجل الذى تناديه بأبتى ، فى سترة صوفية متعددة الألوان ، وإذا هو بعينه مستر ديرث ؛ وكان يتوفر صحة وعافية ، وتغمره السعادة بأن له ابنة . ينتهى من أغنيته التى كان يترنم بها ، والتى سمعها فى الحى اللاتينى] .

ديرث : نعم . هذه هى الشجرة . هنا نصبنا حامل الرسم الليلة الماضية . انظرى إلى القمر البهى الطلعة ، إنه يتبدى فى أجمل صورة كما لم يفعل فى أى وقت مضى . آسف

أيها القمر العجوز لأنى أبقيتك فى الانتظار طويلا ؛ ولكن لا بد أنك تعرف كيف يمر الوقت بنا سريعاً دون أن نحس بمروره . والآن قف ثابتاً فى مكانك حتى أرسمك ، ثم أسلمك للأجيال القادمة وديعة لديها .

[ينصب الحامل ، تشاركه مرجريت فى ذلك بأن تقف عثرة فى سبيله] .

مرجريت : [بروح الناقد . كأية ابنة لأى فنان] القمر يميل إلى الشحوب الليلة . ألا تراه كذلك ؟

ديرث : هذه عاقبة السهر الطويل بالليل .

مرجريت : [تستعرض جسمها فى أوضاع مختلفة] أبتى ، انظر إلىّ . بالله عليك أيها القمر الحبيب أن تبتسم قليلا . لا . لا . ليس كما لو كنت « موديلا » تجلس أمام الرسام . فذلك فعل المحترفين ؛ أجل . هكذا . هذا أحسن ؛ شكراً لك . والآن ابق

: كما أنت . أليست هذه هى العبارات
التى تقولها لهم يا أبت ؟

ديرث : [ينهمك فى عمله] لم يكن من الواجب أن
تخرجى معى فى هذا الوقت المتأخر .
كان الأولى أن تكونى الآن فى فراشك ،
مستريحة البال فى البيت .

مرجريت : [تقتفى أثر عصفور لا وجود له] ،
والوسادة ملقاة فى أى مكان فى السرير؟

ديرث : أجل ، فى أى مكان إلا فى مكانها الطبيعى .

مرجريت : [تبلل قدمها الثانية] والملاءة على وجهى؟

ديرث : حيث لا ينبغى أن تكون .

مرجريت : [تتشلقب حتى تكاد تصبح رأساً على عقب]
وأبى الحبيب يتقدم على أطراف
أصابعه ليبعدها عن وجهى ؟

ديرث : وهذه خدمة لاتستحقينها .

مرجريت : [وقد تسلقت شجرة] فلماذا إذن يبقى
واقفاً بالباب طول هذا الوقت قبل أن

ينصرف ؟ وتنفجر هى ضاحكة . لأنها كانت مستيقظة من البداية .

ديرث : ما شاء الله ! ما شاء الله ! أجل . ما كان ينبغى أن آتى بك إلى هنا . خير لك أن تتغطى بالملاءة عندما يكون القمر طالعاً ؟ ضوء القمر مضرّ بالبنات الصغيرات .

مرجريت : [ترشقه بالبندق] لا يمكننى أن أنام عندما يكون القمر بدراً ؛ إنه يظل ينادينى ويدعونى لأن أغادر الفراش ؛ قد يكون القمر هو أمى وأنا ابنتها .

ديرث : يا إلهى ! إنك أكثر شبهاً بالقمر هذه الليلة !

مرجريت : أهذا صحيح ؟ هل يمكنك أن ترسمنى فى الصورة مع « ماما » ؟ تستطيع أن تسمى الصورة « الأم وابنتها » أو فقط «سيدتان» هذا إذا ظن القمر أن اعتبارى ابنته سيجعله يبدو عجوزاً .

ديرث : O matre pulchra filia Pulchrior هذا كلام لاتيني معناه : «أيها القمر أنت أجمل من أية بنت تمنها بنسان ونصف» .

مرجريت : [تبرز من حيث لا يتوقع أحد] أبت . هل هو أجمل منى حقاً ؟

ديرث : صه ! صه ! إنه لايساوى شيئاً بجوارك . وما قلته إنما هو كلام نقوله « للموديلات» لنسليهم به . [يلحظ بقعة كبيرة تلوث ثوبها] بحق السماء يا مرجريت ! تمنيت على الله لو لم نكن نحن الاثنان مغرمين بأكل التفاح المطبوخ على هذه الصورة ! ثم ما هذا ؟ [يمسك بجونلتها] .

مرجريت : [باختصار] إنه مجرد قطع فى « الجونلة » .

ديرث : طبعاً . لاشك أنه قطع .

مرجريت : الذى أحدثه هو ذلك الولد فى المزرعة ؛ أخذ يوجه إلى السباب . ولكنى طرحته أرضاً ، وركلته فى بطنه . إنه ولد لطيف.

ديرث : طبعاً . طبعاً . إنه لطيف جداً ! يا آلهة

السماء ! ما أطول هذه الليلة !

مرجريت : [تتأمل الصورة التى يرسمها] وما أجمل القمر ! أبت ، إنه ليس على هذا الجمال .

ديرث : شه شه ! عملت له « رتوش » .

مرجريت : أبت ، أبت ! انظر هذا رجل مضحك جدًّا .

[كانت قد لمحت مستر كود ومعه صفارته . كان ينفث فى الغابة أنغام الحياة . يدور حولهما دورة ، ثم يتركهما ليمنح غيرهما مزيداً من السعادة . تقلده مرجريت تقليداً رائعاً ، وفى البداية يهز أبوها رأسه مستنكراً ، ولكنه لا يلبث أن يشاركها فى الرقص ، ليستحق هو الآخر نصيبه من اللوم . يتقلب مزاج الصبية فجأة . وتلتصق بأبيها ، كأنها تحتمى به] .

مرجريت : ضمنى ، ضمنى إليك بشدة يا أبت . أنا خائفة ، أظن أنهم يريدون أن يأخذوك منى .

ديرث : يريدون ؟ من هم الذين يريدون يا أوزتى الصغيرة ؟

مرجريت : لا أعرف . إنها جميلة جدًّا يا أبت ؛

أحمل من اللازم . ولن أقدر على الاحتفاظ بها طويلا .

ديرث : ما هى ؟

مرجريت : الدنيا ، كل شىء . وأنت . أنت يا أبت قبل كل شىء آخر ، كل ما هو جميل أكثر من اللازم لا يمكن أن يدوم .

ديرث : [وهو من يعرف ذلك سلفاً] والآن ، كيف عرفت ذلك ؟

مرجريت : [وما زالت بين ذراعيه] لا أعرف . أبت ، هل أبدو أحياناً مختلفة عن البنات الأخريات ؟

ديرث : قد تكونين أكثر منهن طيشاً ونزقاً .

مرجريت : [برزانة] هل تعتقد أننى أبدو فى بعض الأحيان مسرورة أكثر من اللازم ؟

ديرث : يا حبيبتى ، أنت فعلا تبالغين فى إظهار السرور ، أحيانا . [بعود إلى الرسم]

مرجريت : [بإصرار] يا أبى الحبيب . الإنسان إذا

كان مسروراً جداً ؛ جداً ، فهو أقرب إلى
أن يكون حزيناً جداً ؛ جداً . .

ديرث : [وهو من يعرف ذلك] من أين عرفت
ذلك أيتها البنية ؟

مرجريت : لا أعرف . ربما من شيء هنا ، فى داخلى.
شيء خائف يرتعد . [ثم تقول فجأة]
أبت ، ما هو الشيء الذى فى عالم
الغيب ؟

ديرث : الشيء الذى « فى عالم الغيب » ؟ إنها
العفاريت يا مرجريت . كما أستطيع القول
إننى أيضاً كنت « فى عالم الغيب » رساماً
عظيما ، بدلا مما أنا الآن مجرد رسام صغير
مجهول ، وإن كنت سعيداً بمصيرى هذا
إلى أقصى حد . هذا ومن ناحية أخرى،
ربما كنت « فى عالم الغيب » إنساناً بليداً
كسولا متلافاً لا فائدة فيه .

مرجريت : [ضاحكة] أنت ؟ ! !

ديرث : من يدرى ؟ ربما كان فى داخلى عيب ما .
شيء وضع فى غير موضعه الصحيح.

شيء معوج أدّى إلى اعوجاجي وسلوكي
الطريق الخطأ . ومن ثم كان من المحتمل
أن أصبح ذلك الإنسان البائس الذى « فى
عالم الغيب » . أجل : كان من المحتمل أن
أن أصبح إنساناً بائساً وحيداً ليس لديه
ابنة اسمها مرجريت ؛ إنساناً لا أجد ما أقوله
له إلا عبارة : وا أسفا عليك ! !

مرجريت : أنا أيضاً سأكون آسفة من أجله . [تتخيّل
شيئاً مضحكاً] أبي للالعجوز المسكين يهيم
على وجهه فى الدنيا وحده ، بدونى ،
بدون مرجريت ! !

ديرث : وهناك آخرون « فى عالم الغيب » ، كان
مقدراً لهم أن يوجدوا . ولكنهم شخصيات
رائعة لا سبيل إليهم ، لأنهم ليسوا إلا
ظلالا وألوانا على الورق ، إنهم
يا مرجريت مخلوقات من صنع بعض
الفنانين ؛ من ثمار أفكارهم الحزينة .

مرجريت : [تتواثب فى كل مكان] أنا سعيدة لأنك لست
ظلا من الظلال ولا رسما من الرسوم .

أبت ، ما أفظع أن يصحو الإنسان من نومه ليجد نفسه غير حيّ ! مجرد رسم !

ديرث : نعم ، ما أفظع هذا يا عزيزتى !

مرجريت : أليس هذا فظيعاً يا أبى ؟ أعتقد أن الرجال كلهم فى حاجة إلى بنات لهم ؟

ديرث : إنهم كذلك .

مرجريت : خصوصاً الفنانين .

ديرث : خصوصاً الفنانين .

مرجريت : [تغطى نفسها بأوراق الشجر ، ثم تطرحها عنها ، ثم تركلها] الشهرة ليست كل شيء ؟

ديرث : الشهرة كلام فارغ ؛ البنات هن كل شيء .

مرجريت : البنات هنّ كل شيء .

ديرث : البنات هن كل شيء .

مرجريت : كثيراً ما أسأل نفسى : هل البنين أظرف أم البنات ؟

ديرث : البنات لاعيب فيهن أبدا ، أما الابن فإن عيبه الأكبر ، هو أنك من أول يوم يذهب فيه إلى المدرسة ، لايمكنك أبداً أن تقولى

له : أنا أحبك ، لأنه يأبى ذلك عليك .
فإذا بلغ العاشرة ، لا يمكنك أن تجلسيه على
ركبتيك ، لأنه أيضاً لن يسمح لك . الأبناء
لايساوون نفقة تربيتهم يا مرجريت .
إمضاء : و . ديرث .

مرجريت : ولكنك لو كنت أماً يا أبت ، فإني أؤكد
لك أن ابنك سيسمح لك بكل ذلك .

ديرث : أهذا هو رأيك ؟

مرجريت : أقصد سيسمح لك عندما تكونان وحدكما .
ولا أحد هناك ينظر . الأبناء ليسوا سيئين
إلى هذه الدرجة . إمضاء : مدموازيل
ديرث . ومع ذلك فيسرني أنك تؤثر
البنات على البنين . [تشق طريقها إليه وهى
تحبو على يديها وركبتيها ، مما يزيد من اتساع المزق
فى ثوبها] فى أية سن نكون نحن البنات
أظرف ما يمكن يا أبت ؟ [كان عليها أن
تكرر سؤالها لأنه كان منهمكاً فى رسم قمره]
هيه ! يا أبت ، فى أية سن نكون أظرف

ما يمكن ؟ هيه ! هيه ! يا أبت فى أية
سن نكون أظرف ما يمكن ؟

ديرث : إيه ؟ هذا سؤال صعب . أعتقد أنك
كنت أظرف ما يمكن وأنت ابنة سنتين
عندما كنت تعرفين من الألفباء حتى حرف
الجيم ، وتتعثرين فى نطق الحاء . لا .
بل كنت أظرف ما يمكن فى الثالثة والنصف
بالضبط . أوقبل السادسة تماماً ؟ أولعلها
سنة الحصبة ، عندما جئتك فى الصباح الباكر
وقلت لك : كيف حالك ، فأجبتينى بكل
رزانة : أنا لم أجرّب بعد .

مرجريت : [بانزعاج] هل قلت هذا حقاً ؟

ديرث : كان هذا هو ردك . [ولا يزال يجتهد
ليعثر على جواب السؤال العويص] ولست
متأكداً من أن الجديرى يسبق الحصبة أو
العكس ، لا . رباه ! لقد اختلط
كل شىء علىّ . إن أظرف سن للبنت فى
نظر أبيها هى السن التى تسبق ظهور

ميلها الشديد لتقليد السيدات الكبار ورفع شعرها إلى أعلا .

مرجريت : [وقد ملأها الزهو والاختيال] أظن أن هذه أروع وأبدع سنة فى حياة كل أب . ولكن مازالت هناك سنة أظرف من هذه يا أبت ، لم تشهدها بعد .

ديرث : أهذا صحيح يا عزيزتى ؟

مرجريت : أجل ، السنة التى تصبح فيها البنت مثل السيدات الكبار فعلا .

ديرث : [وقد توقفت فرشاته عن العمل] هل ستظل تصفف شعرها إلى أعلا إلى ما لا نهاية ؟ أنت تعرفين أننى لا أحب هذه الطريقة كثيراً ، لأنها تثير أعصابى أكثر من اللازم ؛ وقلبى ضعيف يا مرجريت .

مرجريت : [مندفعة نحوه] لا ، لا . بل ستكون سعيداً بها ، لأن العملية لن تتم كما تظن . فلن تتنبه أبداً إلى اللحظة التى أتحول فيها من بنت إلى امرأة . إلا إذا نظرت إلى شعرى . وحتى لو نظرت فلن أجعلك

تعرف . فإذا كان شعرى إلى أسفل جعلته
إلى أعلا . وإذا كان إلى أعلا جعلته إلى
أسفل . وهكذا سأتحايل وأتحايل حتى
يعتاد أبى العزيز التغير الذى حدث ،
ويألف الوضع الجديد . .

ديرث : [مقطباً] أراك قد رسمت الخطة كلها .

مرجريت : [مبتسمة] بل هناك ما هو أكثر من ذلك .
اغمض عينيك يا أبت . سوف أكشف
لك عن لمحة من المستقبل .

ديرث : لست متأكداً من أننى أرغب حقاً فى
معرفة المستقبل ؛ إن الحاضر جميل ورائع
بما فيه الكفاية .

مرجريت : اغمض عينيك أرجوك .

ديرث : لا . يا مرجريت .

مرجريت : أرجوك يا أبت .

ديرث : أوه ، ليكن ما تريدين ، إنهما مغمضتان .

مرجريت : لاتفتحهما إلا بعد أن آذن لك . . هل
تبصر ؟ أى أصابعى هذا ؟

ديرث : الإصبع القذر.

مرجريت : [تجثو على ركبتها بين أوراق الشجر]
أبت ، أنا الآن أصفف شعرى إلى أعلا، على طريقة السيدات ، وأنظر فى مرآة جميلة أمامى ، أجل أمامى الآن مرآة جميلة يا أبت ، أبى . إياك أن تنظر ! سأخبرك بشأنها ، إنها عبارة عن بركة صغيرة صافية من الماء . أتمنى لو حملناها معنا إلى البيت وعلقناها على الحائط . وبعد أن أصبح كبيرة كالسيدات ، ستحدث تغييرات كثيرة أخرى عندما أرفع شعرى إلى أعلا : مثلا ستتغير طريقة كلامى وستختلف تماماً عن ذى قبل .

ديرث : أف منك ! أين وضعت علبة ثقابى يا عزيزتى ؟

مرجريت : فى جيب الصديرى العلوى .

ديرث : [يحاول إشعال غليونه بدون أن يفتح عينيه]
كنت منذ لحظة تتعمدين تخويفى فقط .

مرجريت : لا ، بل كنت أهيئك لما سوف يحدث .

هأنت ذا يا عزيزى ترى أنى لا أستطيع
أن أدعوك بيا أبت . عندما أكبر ويصبح
شعرى إلى أعلا . أعتقد أنى سأدعوك
بيا والدى. [الوالد يزمجر] والدى العزيز .
هل تتذكر أيام كانت مرجريت مجرد
بنية صغيرة تجلس على ركبتيك ؟ ما أشد
سخافتنا يا والدى فى تلك الأيام البعيدة ! !

ديرث : اسكتى ، اسكتى يا مرجريت.

مرجريت : الآن يجب ألا أقترب منك كثيراً كما
كنت أفعل فى الماضى ، مثل الولد الذى
كبر ولم يعد يجلس على ركبتيك .

ديرث : اسمعى الآن : أريد أن أعود إلى الرسم .
هل أفتح عينى ؟

مرجريت : لست متأكدة تماماً . الفارق الذى حدث
كبير جداً ، ربما لن تعرفنى من الآن
فصاعداً ، حتى بركة الماء أراها تشعر
بشىء من الخوف مما تراه أمامها .

[تتغير نبرة صوتها . وإزاء ذاك لا يملك
ديرث إلا أن يفتح عينيه بسرعة . تواجهه
فى خجل] ما رأيك ؟ هل أصلح
كامرأة ؟

ديرث : قفى ، قفى حيث أنت يا عزيزتى ؛ دعينى
أتأملك وأملأ عينى منك . أهذه هى
المرأة التى ستكونها مرجريت ؟

مرجريت : [وكان لكلامه وقع غريب على مسامعها ،
كأنما ألقى عليها ماء بارد] سوف ترانى
كثيراً وأنا بهذه الصورة يا أبت ، ولذا
فلست بحاجة لأن تملأ عينيك منى أنت
تطيل النظر إلىّ كما لو كانت هذه هى
المرة الأخيرة التى سترانى فيها .

ديرث : [وقد اعترته رجفة] هل أطلت النظر
إلى هذا الحد ؟ لا ، لا شك أنها ليست
المرة الأخيرة ، ولن تكون المرة الأخيرة .

مرجريت : هوّن عليك يا أبت ، ابتهج وكن سعيداً .
[تتواثب من حوله ، وتندفع من خلفه

ومن بين يديه ومن فوقه] سوف تمل مرجريت وشعرها العالى سريعاً ، حتى قبل أن تشبع منها .

ديرث : معك حق فى هذا .

مرجريت : اسكت ، اسكت ولاتتكلم يا أبت [تهز رأسها هزة قوية فينسدل شعرها إلى أسفل] أبت . أنا أعرف ما تفكر فيه . أنت تفكر الآن فى المرأة التى سأكونها عما قريب ، وفى أنها ستكون عنيدة شرسة صعبة المراس .

ديرث : أعتقد أنها ستكون كذلك .

مرجريت : [تتأمله من زاوية أخرى] والآن ، أنت تفكر . . أنت تفكر الآن فى أننى ربما وقعت فى الحب يوماً ما .

ديرث : [فى اندفاع لا داعى له] كلام فارغ .

مرجريت : [تسارع إلى طمأنته] طبعاً تعرف أننى لن أفعل ذلك ، لا ، لن أقع فى الحب أبداً . هذا صحيح يا أبت . لقد صممت على ذلك ، ومن ثم فليس لك أن تخشى شيئاً .

[تعبث بشعره وتفسد نظامه] هل ستكرهه فى أول الأمر يا أبت ؟ هل ستكرهه ؟ هل ستكرهه يا أبت ؟

ديرث : [وقد استغرق فى عمله] من هو الذى سأكرهه ؟

مرجريت : لو أن . . لو أن هناك ؟

ديرث : لو أن هناك ماذا يا عزيزتى ؟

مرجريت : أنت تعرف تماماً ما أعنيه ، هل ستكرهه فى أول الأمر ؟

ديرث : أرجو ذلك . ربما تمنيت أن أخنقه بيدى ، ولكنى لن أكرهه .

مرجريت : أما أنا فسوف أكرهه ، أقصد لوحدث ووقعت فى حبه .

ديرث : لو وقعت فى حبه فكيف تكرهينه ؟

مرجريت : لتجاسره !

ديرث : تجاسره على ماذا ؟

مرجريت : أنت تعرف بالطبع . [تتنهد] ولكن بالطبع لن أقول كلمة واحدة فى هذا الموضوع ، ستتولى أنت ، عنى كل شىء .

أنت تقوم بكل شيء بدلا عنى .

ديرث : [ينأوه] لا حيلة لى فى ذلك .

مرجريت : بل سوف تتولى كتابة خطاباتى الغرامية ، لو احتجت يوماً إلى كتابتها . وهو ما لن أحتاج إليه أبداً .

ديرث : [فى خجل] بحق السماء يا مرجريت . أما هذه فسوف أتركك لتقومى بها بنفسك.

مرجريت : لا ، ليس مثلك من يفعل ذلك . لا ، ليس أنت . ستحاول أن تتخلى عنى ، ولكنك لن تستطيع .

ديرث : [يحاول يائساً أن يدافع عن نفسه] أنت تعرفين يا مرجريت أننى أرغب فى أن تقومى بكل شيء على أكمل وجه وبنفسك. أتمنى أن أتركك تؤدين بعض الأشياء بمفردك أكثر من ذى قبل . ولكن لا أستطيع ، لعل السبب فى ذلك هو أننى أقوم بدور الأب والأم لك . أنا لا أكاد أعرف شيئاً عن تربية الأولاد . وبالطبع لا يمكن أن أعهد بك إلى « دادة » .

مرجريت : [محتدة] لا ، لست أنت الذى يفعل ذلك .
أنا متأكدة من أنك نستطيع أن تقوم بدور
« الدادة » خيراً منها . أنت هكذا دائماً .
أبت ، هل تذكر كيف علمتنى كيف
أضع قطعة « البسكويت» على أنفى وأوازنها
فلا تقع . تماماً كما يفعل الجرو الصغير ؟

ديرث : [فى قنوط] هل علـّمتك هذا ؟

مرجريت : لقد سميتنى يومها باسم الجرو روفر.

ديرث : أنا أنكر هذا بشدة .

مرجريت : فإذا صحت بى « هيا » التقطت « البسكويتة »
بفمى .

ديرث : هذا شىء شنيع .

مرجريت : [مبتسمة] أبت . أنا مازلت قادرة على أن
أفعلها الآن . انظر [تضع «بسكويتة» على
أنفها] هذه هى آخر ما تبقى من عشائى .
قل « هيا » يا أبت .

ديرث : لا ، لست بالذى يقول ذلك .

مرجريت : قل « هيا » . أرجوك أن تقولها يا أبت ؛

ديرث : أنا أرفض بشدة .

مرجريت : أبت !

ديرث : « هيا » .

[تلتقط « البسكويتة » فى فها] .

هذه آخر مرة تفعلين فيها ذلك يا مرجريت

مرجريت : بقيت مرة واحدة فقط . لا أقصد الآن .
ولكنى سأفعلها آخر مرة عندما أكون
كبيرة حقاً . وأصفف شعرى إلى أعلا .
وعندما تكون لى مرجريت . . مرجريت
صغيرة ، وتأتى أنت لزيارتنا يا أبت ؛
وسأكون راقدة فى سريرى الأبيض .
وستقول عندئذ « هيا » . . . وسأعد
« بسكويتة » لهذا الغرض .

ديرث : [مشيحاً بوجهه] لك ما تريدين .

مرجريت : أبت . لو أننى تزوجت . . . أقصد
لا ، لأننى أريد ذلك ، ولكن لو أننى
تزوجت فعلا ، هل ستسمح لى أن أرد
على سؤال القسيس فى حفلة الزواج
وأقول : « أوافق » ؟

ديرث : أظن أننى أستحق كل هذا .

مرجريت : [بدلال] هل ترانى جميلة يا أبت ، مهما كان رأى الآخرين فىّ ؟

ديرث : لا بأس .

مرجريت : أعرف أن لى أذنين جميلتين.

ديرث : هما الآن جميلتان . ولكن بعد أن بذلت فيهما ما بذلت طيلة شهور كثيرة .

مرجريت : أنت لاتعنى أنك صنعت أذنى بنفسك ؟

ديرث : تقريباً .

مرجريت : [كسيرة الجناح] ولكن لا شك أن الغمازة التى فى ذقنى هى ملكى .

ديرث : يسرنى أن تظنى ذلك . ولكنى أبليت طرف أصبعى الخنصر فى صنع هذه الغمازة .

مرجريت : حتى غمازتى ! أترانى لا أملك شيئاً خاصاً بى وحدى؟ جزءاً من أنفى أو أى شىء ؟

ديرث : عندما كنت طفلة رضيعة ، كنت تتمتعين بضحكة ساحرة ، وكانت كلها ملكك لايشاركك فيها أحد .

مرجريت : ألا أملكها الآن ؟

ديرث : بل ضاعت . [ينظر إليها متحسراً]
وسأقص عليك كيف ضاعت : كنت
ذات يوم تصطادين السمك . . طبعاً
كنت أنا الذى أضع الطعم فى « الصنارة »
وكنت لاتفعلين شيئاً إلا أن تجلسى فوق
كتفى وتمسكى بالقصبة فقط . وطبعاً لم
تصطادى شيئاً . ثم حدث على نحو ما
أنك أثرت غيظى . فما كان منى إلا
أن زجرتك بشدة ،ولا أدرى كيف فعلت
ذلك . ولكنى زجرتك بشدة .

مرجريت : [وهى تشهق] لا يمكن أن أصدق هذا .

ديرث : نعم . هو شىء غريب فعلا : ولكنى
شتمتك فى ذلك اليوم . وأصبت أنت
بصدمة شديدة ، وكأن الدنيا قد ضاقت
فى وجهك وأظلمت فى عينيك ، وفقدت
كل إحساس بالأمن والطمأنينة . وكان
إحساسك بالطمأنينة مستمداً من إيمانك بى
إيماناً تاماً .. والذى حدث بعد أن شتمتك
أن إيمانك بكل شىء قد تزعزع . حتى

طعامك من الخبز والزبد لم تعودى تطمئنين
إليه . ثم ترقرقت دمعة خائفة فى عينيك .
وساعتها شعرت بالسرور والتشفى .
وأنا أعترف بذلك . [وكان لا يزال
يشعر بهذا] .

مرجريت : سخيف ! ! [ثم فى تساؤل] ولكن ما العلاقة
بين هذا وبين ضحكتى يا أبت ؟

ديرث : الضحكة التى تولد مع الأطفال تبقى معهم
طالما ظلوا محتفظين بإيمانهم . ثم لك
أن تتصورى أننى أنا ، أنا من بين الناس
جميعاً الذى سلبت منك هذا الإيمان ! ! !
ما أبشع هذا ! ! !

مرجريت : لا ، لا . أرجوك يا عزيزى ؛ لاعليك
من هذا يا أبت ! أنا متأكدة من أن
الضحكة التى ولدت معى قد ذهبت مع
الدمعة التى سقطت فى ذاك اليوم من
عينى . لقـــد ذهبت معها لتواسيها . .
وأعتقد أنهما لاتزالان تلعبان معاً حول
الجدول منذ ذلك الحين . وقد نسيتا أمرنا

تماماً . فعلام إذن نشغل بالنا بهما ؟
يا لهما ما من حشرتين سمجتين ! ! هل أدلك
على أول شيء أذكره من أيام طفولتي ؟
[ثم بشيء من الرهبة] أنا أذكر أول
مرة رأيت فيها النجوم ؛ كانت أول
مرة أرى فيها الليل ؛ وفيها رأيت الليل
والنجوم معاً . قليل من الناس هم الذين
يستطيعون أن يفخروا بمثل هذه الذكريات
الرائعة من طفولتهم الأولى ، أليس
كذلك ؟

ديرث : حرصت على أن تكون أولى ذكرياتك ، ذكرى جميلة رائعة .

مرجريت : [بدهشة] أتعني أنك دبّرت هذا أيضاً ؟

ديرث : تقريباً ! معظم الناس تكون ذكرياتهم الأولى عن أشياء تافهة سخيفة ؛ مثلا عن كيف جرحوا أصبعهم أول مرة ، أو كيف ضاعت منهم قطعة من الحبل . أما أنا فقد صممت على أن تكون ذكريات ابنتي مرجريت عن أشياء عظيمة

هائلة . كنت فقيراً ، ولكن كان فى وسعى أن أمنحها نجوم السماء .

مرجريت : [تلف ذراعيها حول ساقيه . وتحتضنهما بشدة] لله أنت يا أبتاه ! ! ما أشد حبك لى ! !

ديرث : نعم . تقريباً ! !

[تظهر على المسرح امرأة شريدة تهيم على وجهها فى الغابة . تتجه نحوهما . يبدو أن عواصف الحياة القاسيه قد لفحتها بهجيرها وشواظها ، فأجهدتها وأسالت منها الدماء . كانت ما تزال تحتفظ ببقايا قوام رشيق . كما أن هناك بقايا جمـال غابر تتناثر على محيـاها هنا وهناك ، لا تريد أن تتخلى عنها . هذا وفيها ما يدل على طبع حاد وخليقة شرسة عنيـدة ، ما زالت تحتدم فى أعماقها . ومع أنها كانت ذات يوم مثال المرأة المدللة المتمردة ؛ إلا أنها أصبحت الآن بائسة ذليلة لا يصدر منها إلا التوجع والشكوى . تلتقى بهما دون أن تعرفهما ودون أن يعرفاها] .

مرجريت : [فى رقة جديرة بابنـة فنان] مساء الخير!

آليس : مساء الخير يا آنستى الصغيرة . مساء الخير يا سيدى

ديرث : [وقد لا حظ أن عينيها تفتشان فى الأرض عن شىء ما] هل ضاع منك شىء ؟

آليس : عندما ينتهى السيّاح من تناول شطائرهم ، تتبقى منهم أحياناً لقيمات صغيرة . وهم يتخلصون منها عادة ، بأن يدسّوها بين جذور النباتات . حتّى لا يتسخ بها المكان . وأنا أبحث عن هذه البقايا .

ديرث : أنت لاتعنين أنك جائعة إلى هذا الحد ؟

آليس : [تتهكم] اختبرنى إذن .

[واعجبا لديرث ، كيف لم يتعرف على صاحبة ذلك الصوت المبحوح الذى طالما خلب لبه ؟] .

مرجريت : [تهرع إلى أبيها تتحسس [جيوبه] أبت ! لقد كانت تلك هى آخر « بسكويتة » عندى .

ديرث : علينا أن نجد شيئاً آخر .

مرجريت : [تتناول يدها] نعم . يجب أن نجد لك

شيئاً ؛ انتظرى لحظة ، أبى ، فكر فى شيء نعطيه لها .

آليس : [فى حدة] أبوك لا يحب أن تلمس يدك أمثالى من الناس .

مرجريت : نعم ، هو لايحب ذلك . [ثم بعناد] ومع أنه لايحب ذلك ، فإننى سأفعله على كل حال ، هذا شيء يخصنى يا أبت . جزء من نفسى .

ديرث : نعم ، نعم . هذا هو كل ما تعرفينه .

آليس : [متوجعة شاكية] لاداعى لأن تغضب منها أيها السيد ؛ لن ينالها منى أذى .

ديرث : لست غاضباً منها ؛ أنا فقط آسف من أجلك .

آليس : [يهيج هائجها] لو ردّت إلىّ حقوقى لكنت الآن مثلك تماماً . . . بل أحسن منك . .

ديرث : ربما .

آليس : كان عندى خدم وحشم وسيارة :

ديرث : أنا ومرجريت لم نرتفع قط إلى هـذا المستوى .

مرجريت : [وقد أهينت] أنا ركبت « تاكسى » عدة مرات ؛ وأبى كثيراً ما يتلقى برقيات .

ديرث : مرجريت ! كفى .

مرجريت : آسفة لتفاخرى .

آليس : هذه أشياء لاقيمة لها . أنا لدىّ قصر ريفى . . أو على الأقل كان لدى قصر ريفى . . . على كل حال هو الذى قال لى إنه يملك قصراً ريفياً .

مرجريت : [بفضول] تصورى أنه لايعرف ذلك ! !

آليس : مسز فنش فاللو سليلة المجد والشرف . . . تلك هى أنا .

مرجريت : [بحرارة وإخلاص] إنه اسم جميل .

آليس : لعنة الله عليه .

مرجريت : ألا تحبينه ؟

ديرث : لا ، لن نخوض فى هذا . لا شأن لنا بماضيك ، ولكن أتمنى لوكان لدينا شىء من الطعام لنعطيه لك .

آليس : أعندك زجاجة خمر ؟

ديرث : لا ، أنا لا أقربها . ولكن دعيني أبحث لك عن . . .

مرجريت : [وقد أشرقت نفسها سروراً] أنا أعرف ! قلت إن لدينا خمسة جنيهات [ثم توجه كلامها للمرأة المحتاجة] هل ترغبين فى أخذ خمسة جنيهات ؟

ديرث : لا تكونى حمقاء يا حبيبتى ! إننا لم نسدد بعد حسابنا فى الفندق .

آليس : [فى عنجهية] على أية حال أنا لم أسألكما شيئاً .

ديرث : بالله لاتأخذى كلامى على هذا المحمل ؛ أنا نفسى قد تلقيت نصيبى من الشدائد وتقلبات الأيام . إليك عشرة شلنات ، أقدمها لك بكل سرور .

[ثم يدس فى يد مرجريت خلسة ، قطعة من النقود] .

مرجريت : وأنا أيضاً عندى نصف كراون . من اليسير علينا أن نتنازل لك عن هذه النقود .

فسوف يحصل أبى فى أى يوم يشاء على خمسة جنيهات أخرى . لايمكنك أن تتخيلى الأثر الذى تحدثه هذه الجنيهات الخمسة عندما تأتى . إننا نرقص ونغنى ثم نهرع خارجين من البيت لنشترى شرائح كثيرة من اللحم .

ديرث : مرجريت !! ؟

آليس : هذا كرم عظيم منك ؛ أحس فى هذه اللحظة أننى أغنى بكثير مما كنت طيلة أيام كثيرة خلت .

ديرث : هذا شيء لايستحق الذكر ؛ كما أنى على يقين من أنك كنت تفعلين بنا نفس الشيء .

آليس : أرجو أن أكون عند حسن ظنك .

ديرث : لاشك أنك تفعلين نفس الشيء بنا ؛ وأنا سعيد لأننى استطعت أن أقدم لك خدمة ما ؛ أسرعي بالله عليك فاشترى لنفسك شيئاً من المؤونة والطعام . تمنياتى الطيبة لك يا مدام ؛ أرجو أن يتبدل حظك .

آليس : تمنياتى الطيبة لك ؛ وأرجو أن يستمر حظلك — كما هو — سعيداً .

مرجريت : ليلتك سعيدة .

آليس : ما اسمها أيها السيد ؟

ديرث : [وقد عاد إلى عمله] مرجريت .

آليس : مرجريت . من حسن حظلك أيها السيد أن تحصل على بنت مثلها .

ديرث : نعم .

آليس : احرص عليها ؛ فما أسهل أن يفقدهن الإنسان ! !

[تجرّر أذيالها أو أسمالها وتمضى بعيداً]

ديرث : مسكينة ! أحسب أنها لاقت أياماً عسيرة , لاشك أن هناك رجلا ما هو المسؤول عن ذلك ! . . . أجل ولو إلى حد ما . [ثم يشعر بقلق] إن هذه المرأة قد حركت مشاعرى يا مرجريت ؛ لا أدرى لماذا ؛ ألم تشعرى مثلى بحنين إلى صوتها المبحوح ؟ [ثم يستأنف الرسم] أقول لك يا مرجريت إن علينا نحن

الأسعد حظاً ، أن نعاهد أنفسنا على أن نكون رحماء بالتعساء المنكودين الذين خانهم الحظ . فإذا كنا رحماء فلنحاول أن نكون أكثر رحمة بهم وعطفاً عليهم .

مرجريت : [متحمسة] نعم . نعم لنعاهد أنفسنا على ذلك .

ديرث : كونى دائماً يا مرجريت رحيمة بالفاشلين ، بالأشخاص الذين يصادفهم الفشل فى طريقهم ، ويتعثرون فى خطواتهم كلما ساروا . . . وبخاصة الذين يشتغلون فى مهنة كمهنتى هذه . ألا يكون من الجميل حقاً أن نبدل فشلهم وهم فى سن التاسعة والثلاثين ، إلى نجاح باهر ؟

مرجريت : مضبوط .

ديرث : مضبوط .

مرجريت : مضبوط . مضبوط . ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك يا أبت ؟

ديرث : عن طريق البوستة . فقط نكتب خطاباً كهذا : إلى توم المسكين الكسير القلب

العنوان : حجرة على السطوح ، عمارة جاريت س . أ .

« سيدى العزيز : . . . قد تفضل وتعطف صاحب الجلالة ، فأبدى رضاه السامى عن لوحتكم الرائعة « رصيف مارلو » وأعرب عن رغبته الكريمة فى شرائها » .

مرجريت : حاشية : « . . . مرسل لكم النقود فى حقيبة جلدية بحيث يسمع رنينها من الداخل » .

ديرث : ترى ماذا فى وسعنا أن نعمله من أجل صديقتنا التى مرت بنا الآن ؟ أنا لا أستطيع أن أبعدها من خاطرى .

مرجريت : لقد جعلتنى أنساها [ثم بحزن] أنا لم أحب ذلك يا أبت .

ديرث : لم تحى ! ماذا يا عزيزتى ؟

مرجريت : [ترتجف] لم أحب قولها إنك قد تفقدنى .

ديرث : [يعرب عن الشىء الوحيد الذى لا يشك فيه أبداً] أنا لن أفقدك يا مرجريت . لن أفقدك أبداً .

مرجريت : [تحتضن ذراعه] سوف يكون الأمر صعباً عليّ إذا ما فقدتنى . ولكنه سيكون أشد صعوبة عليك ، لا أدرى كيف عرفت ذلك ولكنى أعرفه ، ترى ماذا سيكون حالك إذا ما فقدتنى ؟

ديرث : [يوشك أن يحتد عليها] إياك أن تتكلمى على هذا النحو يا عزيزتى . إن هذا الكلام كله شر وغباء . لست أدرى كيف أن هذه المرأة المسكينة . . . بطريقةما ... لا ، لن أرسم الليلة أكثر من ذلك .

مرجريت : فلنخرج من الغابة . إنها تخيفنى .

ديرث : ولكنك منذ لحظة كنت تحبينها . من هناك ؟ [كان قد لمح ضوءاً خافتاً يظهر بعيداً فى الغابة . ويبدو أنه كان منبعثاً من نافذة بيت] لم ألحظ وجود بيت هنا .

مرجريت : [فى ضيق] أنا متأكدة يا أبت أنه لم يكن هنا أى بيت .

ديرث : غبية ! هذا لأننا لم نهتم بالنظر حولنا . وتلك هى طريقتنا المستهترة ألا نعبأ بأى

شيء في الدنيا . ولا نهتم إلا بأنفسنا .
وهذا شيء جدير بنا حقاً نحن الذين نفاخر
بما سنفعله وسنفعله للآخرين . أعرف
الآن تماماً ما يجب أن نفعله لتلك
المسكينة .

مرجريت : فلنخرج من الغابة .

ديرث : نعم سنخرج منها . ولكن بعد أن أنفذ
ما اعتزمته أولا : وهو أن نوقظ أهل
هذا البيت ، ونحصل منهم على شيء
من الطعام لهذه المرأة ذات الصوت
المبحوح .

مرجريت : [تتعلق به] لقد ابتعدت بعيداً عنا الآن .

ديرث : يمكنني أن ألحق بها .

مرجريت [وقد تملكتها نوبة فزع] لاتذهب إلى البيت
يا أبت ؛ لا أعرف سبباً لذلك ولكني
خائفة ، خائفة من هذا البيت .
[يلوح نحوها بأصبعه مؤنباً]

ديرث : إليك قبلة في نظير كل لحظة أتغيبها هناك ..
[تمسح قبلاته عن وجهها] .

يالك من فتاة عنيدة ؛ اذهبي إلى هناك وقفي فى الركن .

[تقف ملتصقة بإحدى الأشجار ، ولكنها تضرب الأرض بقدمها احتجاجاً] .

من منا إذن العنيد السريع الغضب ؟

[تحاول جهدها ألا تبتسم ، ولكنها تبتسم فى النهاية . ويبتسم هو الآخر فى وجهها . ثم يحرك كل منهما عضلات وجهه للآخر بطريقة مضحكة ، وهذا دأبهما فى مثل هذا الموقف . منذ أن فتحت مرجريت عينها على الحياة لأول مرة] .

سأعود . سأعود إليك قبل أن تكملى العد حتى المائة .

[يخرج وهو يدندن بأغنية ، حتى تأتنس بصوته وهو يختفى عن ناظريها ؛ وكان يفعل ذلك كثيراً من قبل ؛ تحاول أن تعدّ حتى المائة ، كما قال ؛ ولكن الغابة تزداد ظلمة وسواداً . تشعر بالخوف من جديد ؛ تجرى من شجرة إلى شجرة ، وهى تنادى أباها . وشيئاً فشيئاً نفقد أثرها ، حتى يبتلعها الظلام] .

مرجريت : [ينبعث صوتها من عالم أثيرى عبر محسوس
طواها طياً بين جناحيه] أبتاه ! عد
إلى . عد إلى يا أبتاه . أنا لا أريد أن
أصبح شيئاً « فى عالم الغيب » .

[حجرة لوب ، وقد تكاثفت عتمتها ، فى انتظار عودة المغامرين من مغامرتهم ، هذا إن كانت لهم عودة . الستائر مسدلة بإحكام ، بحيث لا يتسرب شعاع واحد من الضوء من الخارج . تسمع نقرات خفيفة على النافذة ، وبعد هنيهة قصيرة نشعر بشخصين يتسللان إلى داخل الحجرة . تصدر منهما صرخات مكتومة بعد أن يلتقى أحدهما بالآخر على غير توقع . يعثران على مفتاح النور . يكشف الضوء عن شخصيتهما ، فإذا هما پيردى ورفيقته ميبل ، وقد خرجا لتوهما من الغابة . ولا شك أن هناك شيئاً ما قد وقع لهما ، ولكنه من التفاهة بحيث لا يلفت نظرهما . يكون ظهورهما فى ثياب السهرة كحالهما عندما غادرا البيت . وما يزالان فى قبضة تلك الروح الأثيرية المرحة التى كانت تسرى فى دمائهما] .

ميبل : [تتلفت حولها بفضول ودهشة] حجرة صغيرة جميلة . ترى من يكون صاحبها ؟

پيردى : هذا أمر غير مهم ؛ أهم شيء أننا أفلتنا من چوانا .

ميبل : چاك . انظر . هذا رجل !

[ولعل كلمة رجل لم تكن لتصلح فى وصف ما رأته ميبل . ولكن الشخص المقصود بها كان هو لوب بلحمه ودمه ، وقد تكوّم على كرسيه بجانب المدفأة التى أصبحت نارها رماداً بارداً . وكان آخر ما ارتسم على وجهه قبل أن ينام ، نظرة جوفاء فارغة . وما زالت تلك النظرة حيث كانت من وجهه] .

پيردى : إنه نائم .

ميبل : هل تعرفه ؟

پيردى : لا . أبدا . عفواً يا سيدى ؛ هيه . . . هووه !

[لا هزة واحدة ولا عدة هزات متتالية ، تفلح فى إيقاظ النائم من سباته] .

ميبل : غريب جداً يا عزيزى .

پيردى : [وهو الحذر دائماً] على أية حال أيتها الغالية ، هل من حقنا أن نوقظ شخصاً غريباً من نومه ، لا لشىء إلا لنقول له ، إننا هاربان لجأنا إلى بيتك ؟

ميبل : [وهى التى تنحدر من أسرة عريقة] أعتقد أنه ينتظر منا أن نفعل ذلك .

پيردى : [وقد حاول محاولة أخرى] لا شىء يؤثر فيه أو يحركه .

ميبل : [راضية] على أية حال لقـــد أدينا ما يقتضيه واجب اللياقة .

[أصبح فى استطاعتها الآن أن تتأمل الحجرة على مهل وبإمعان . تقع عينها على صينية القهوة التى تركها ماتى على المنضدة فى مناسبة هامة جداً من تاريخ حياته] من الواضح أن ثمة أشخاصاً كانوا هنا منذ قليل ، ولم يقربوا قهوتهم ؛ ما أبشعها ! إنها باردة مثل بيضة متروكة فى عش فارغ . لو كنت

يا چاك مخبراً ذكياً لحدست أوصاف
هؤلاء الناس من فناجين القهوة التى
تركوها . عجباً لهم ! ترى من هم ؟ وأى
نداء خفىّ دعاهم فأسرعوا إليه تاركين
قهوتهم ؟

پيردى : لعلهم لبوا نداء الفراش فحسب . هل
من اللائق أن نطرق عليهم الأبواب فى
هذه الساعة ؟

ميبل : [بعد أن قدّرت ما يمكن أن تفعله أمها
فى مثل هذا الظرف] لا . ليس هذا من
اللياقة فى شىء يا عزيزى . أعتقد أننا
كنا هاربين معاً يا چاك . كنا نقصد
الهرب معاً أنا وأنت ، أليس كذلك . . ؟

پيردى : [بالحزم الذى تشتهيه كل ضعيفة من بنات
حواء] قطعاً . ألا إن الإخلاص طول
العمر ، الإخلاص الذى يشبه إخلاص
الكلب . . [يتنبه فجأة إلى أن شيئاً ما
قد أصاب وجه لوب النائم . لم تبرحه
النظرة الفارغة ، ولكنها بكل تأكيد انتقلت

من موضعها من الوجه] هل ترينه يتظاهر بالنوم ؟ .

ميبل : هزّه مرة أخرى .

پيردى : [بعد أن لكزه] إنه نائم فعلا . أقول يا ميبل إن الإخلاص طول العمر الذى يشبه إخلاص الكلب . .

[فى هذه اللحظة تدخل چوانا من بين الستائر . وهى أسوأ الأوقات لدخولها . يكاد پيردى وهو الحليم ، أن يضيق بها ذرعاً]

هل أقول لك رأيى بصراحة يا چوانا ؟ هذا كثير . هذا لايطاق . بل هو أكثر من أن يطاق !

چوانا : [ولم تزل مثلهم غير منتبهة إلى أنها الآن ترتدى ثوب السهرة] أنت هو إذن أيها الزوج الحبيب . أخيراً عثرت عليك ! أما زالت روحك المعذبة تهيم وحدها بلا أنيس ولا حبيب ؟

ميبل : [التى تمقت بحكم أصلها العريق ، كل مظاهر الخشونة والجفاء] كيف سولت

لك نفسك أن تتلصصى هكذا فى سيرك
يا چوانا ؟ أليس عندك بقية من الكرامة ؟

چوانا : [وقد مسحت عن عينيها دمعة] أرجو منك
يا سيدتى إذا ما وجهت إلىّ الكلامُ أن
تخاطبينى بمسز پيردى . [تلمح لوب]
من هذا الرجل ؟

پيردى : لا نعرف من هو ؛ ولا نعرف وسيلة
لإيقاظه من سباته . يمكنك أن تحاولى
ذلك لو شئت .

[تفشل چوانا هى الأخرى فى إيقاظ لوب ؛
تنضم إلى حلقتهم حول المنضدة ؛ لم يزل بهم
جميعاً مسّ خفيف من العالم الأثيرى الذى كانوا
فيه ، كأن بقية من أشعة القمر لم تزل عالقة
بشعورهم] .

چوانا : سمعتك تقول شيئاً عن الإخلاص طول
العمر ؛ بالله عليك إلا أكملت حديثك .

پيردى : [فى استحياء] لا أحب أن أكمله أمامك
يا چوانا .

چوانا : [وقد عادت إليها خشونتها] لا تبالى
بوجودى .

پيردى : [يبدو مثل علامة الاستفهام من شدة الحيرة]:
أنا أرغب فعلا فى تكملة حديثى .

ميبل : [باستعلاء] وأنا من جانبى ، سأكون
فخورة إذ أستمع إليه .

پيردى : [فى عطف وإشفاق] كنت أريد إعفاءك
من هذا يا چوانا ؛ ألن تضعى أصابعك
فى أذنيك حتى لا تسمعى ؟

چوانا : [بحسرة] كلا . يا سيدى .

ميبل : بئست المرأة أنت يا چوانا ! هذا دليل
زائع على رقة شعور الزوجة .

پيردى : [بغلظة] مادمت تأخذين الموضوع هذا
المأخذ يا چوانا ، فلا يسعنى إلا أن أكمل
حديثى وأنا مستريح الضمير : إن
الإخلاص طول العمر الذى يشبه إخلاص
الكلب . . . [ينظر ناحية لوب ويعبس .
كانت نظرة لوب الخاوية تنتقل بين تقاطيع
وجهه مثل النحلة الدوّارة] .

ميبل : هل تحرّك ؟

پيردى : ليس هذا هو المهم . أحس الآن بشعور

غريب .. غريب جداً . هل ضربتنى
إحداكما بشىء على جبهتى ؟
[كانت يداهما هما الأخريان ، قد ارتفعتا
إلى جبهتيهما] .

ميبل : أعتقد أنى كنت فى هذه الحجرة من
قبل .

پيردى : [محفلا] هناك شىء . . . شىء ما يندفع
إلى رأسى .

ميبل : أظن أنى أعرف صينية القهوة هذه .
لو صحّ هذا ، فإن غطاء وعاء اللبن
مشدوخ . . . أجل إنه كذلك !

چوانا : لايمكننى أن أتذكر اسم هذا الرجل
النائم ، ولكنى واثقة أنه يبدأ بحرف اللام.

ميبل : لوب .

پيردى : لوب .

چوانا : لوب .

پيردى : ثوبك . ثوبك يا ميبل !

ميبل : [تتنبه إلى ثوبها] يا للعجب العجاب ! !
كيف يمكن بالله . . ؟

چوانا : ثوبى . ثوبى [ثم إلى پيردى] وأنت . كنت ترتدى فى الغابة بنطلوناً قصيراً .

پيردى : طبعاً . ومازلت أرتديه . [ثم يكتشف أنه لا يرتدى البنطلون القصير] أنا لا أذكر أين ومتى أبدلت ثيابى ! الغابة ! دعينى أتذكر . الغابة . . . الغابة بلا شك . ولكن الغابة لم تكن هى الغابة .

چوانا : [تدور حول نفسها كشخص يقتفى أثر شخص آخر] إن رأسى تدور .

ميبل : إنها غابة لوب ! كل شىء يحضرنى الآن . لقد كنا هنا ثم ذهبنا . ذهبنا إلى هناك . إلى الغابة !

پيردى : إذن قد ذهبنا . ولكن كيف يمكن . . . ؟ أين كان . . . ؟

چوانا : من الذى كان . . . ؟

ميبل : وماذا كان . . . ؟

پيردى : [ولا يزال الرجل ملء ثيابه حتى فى هذه اللحظة الحاسمة] اثبتوا ! اثبتوا واحتفظوا برباطة جأشكم . ولنستعد بهدوء

كل ما فعلناه هناك . أجل فلنمسك بأول
الخيط ، ليصل بنا إلى السر . هذا وإلا
فقدنا السيطرة على أنفسنا . الإخلاص ...
كان هناك حديث عن الإخلاص .
فلنتمسك بالإخلاص . كلمة الإخلاص
هى التى ستقودنا إلى . . . إن الإخلاص
طول العمر الذى يشبه إخلاص الكلب...
من منكما التى كنت أوجه إليها هذا
الكلام ؟

ميبل : إنها أنا .

پيردى : هل أنت واثقة ؟

ميبل [وقد اهتزيقينها] لست واثقة تماماً .

پيردى : [بقلق] وأنت يا چوانا . ماذا تقولين ؟
[يتضاعف قلقه فجأة] أيكما هى زوجتى ؟

چوانا : [بغير حماس] أنا زوجتك . لا . لست
زوجتك . إنها ميبل . ميبل هى زوجتك !

ميبل : أنا ؟

پيردى : [يبتلع ريقه بصوت مسموع] وما وجه
العجب ؟ بالطبع أنت زوجتى يا ميبل .

ميبل : أعتقد أننى كذلك .

پيردى : لكن كيف يمكن أن تكونى كذلك ؟ لقد كنت هارباً معك .

چوانا : [تتولى حل هذا اللغز] لست فى حاجة إلى الهرب الآن .

پيردى : الغابة .. فلنتمسك بالغابة . الغابة هى طرف الخيط الذى سيصل بنا إلى السر . نعم . أرى كل شىء بوضوح الآن . [يحملق فى لوب] ألا تبا لك أيها الوغد الشيطانى العجوز !! فلنحاول أن نسترجع كل شىء . اسكتا لحظة . . فكرا أولا . . . الحب . . . فلنتمسك بالحب . [يتلقى على جبهته ضربة أخرى] أقول . . . أعتقد أننى لست من يغرق فى الحب إلى أذنيه . أنا لست إلا . . . زئر نساء !

ميبل : هذا هو أنت على حقيقتك .

چوانا : [أكثر منها شهامة] وماذا تقولين فينا نحن يا ميبل ؟

پيردى : [وكان الموقف بالنسبة له يبعث على

الفتيان ، كأنما قد تجرع شربة دواء مقززة]
لم أكن أعرف . لم أكن أعرف .
مجرد زئر نساء ! [تود روحه فى تلك
اللحظة لو انسلت هاربة من جسده
والتمست لها جسداً آخر] إذا كان الناس هم
الناس لايتغيرون . فإننا سنعود دائماً من
حيث بدأنا .

چوانا : [وكانت أكثرهم واقعية] هذا جائز ؛
سنكرر أنفسنا حقاً ، ولكن مع أشخاص
آخرين . قد أبث شباكى من جديد حول
الرجال المتزوجين ، ولكن ليس حولك
أنت بكل تأكيد .

[يتأمل كل منهم نفسه ، ثم ينبو عنها
ساخطاً عليها . وتلك لعمرى حسرة مرة .
وكان الرجل من بينهم ، أشدهم إحساساً
بمرارتها ، لأنه كان أشدهم عجباً وتيهاً
بنفسه . أو ربما لسبب آخر أكثر من
ذلك وجاهة] .

بيردى : [وكأنه يقول وداعاً لصديق عزيز]

چون پيردى . چون پيردى . أأنت حقاً ذلك الشخص الرفيع الذى طالما تمثلته أمامى؟ [ثم يمضى فى كلامه عندما يصبح قادراً على أن يرفع بصره عنهما] تلك الغابة قد لقنتنى درساً بليغاً واحداً على أية حال .

ميبل : [بانقباض] وما هو يا چاك ؟

پيردى : إن الصدفة ليست هى التى تصنع حياتنا .

چوانا : كلا. إنه القدر .

پيردى : [وقد سرت الحقيقة فيه مسرى الدم ، تريد أن تتخذ لها مستقراً فى كيانه ، تريد أن تمنحه فرصة ثالثة ، وكأنما يعز عليها أن تتخلى عنه نهائياً] كلا . يا چوانا . إنه ليس القدر . القدر شىء خارج عن نطاقنا . إن ما يعيث فينا فساداً ، هو شىء داخلى ، كامن فى نفوسنا . شىء يجعلنا نقع فى نفس الأخطاء ، ونرتكب نفس الحماقات مهما أتيح لنا من الفرص لتفاديها .

ميبل : شيء في أنفسنا ؟

پيردى : [وهو يرتعد] شيء يولد معنا .

چوانا : ألا يمكننا أن نستأصل هذا الشيء البشع ، ونلقى به بعيداً ؟

پيردى : هذا بالطبع يتوقف على مدى إفراطنا فيه وإلقائنا له الحبل على الغارب . ومع ذلك ، ففى إمكاننا أن نسيطر عليه وأن نكبح جماحه ، إذا بذلنا فى ذلك جهداً كافياً . ولكننى فى هذه اللحظة أشعر بإحساس بغيض كريه ، ولكنه إحساس قوى واضح المعالم ، هو أن أمثالى من الرجال لايبذلون فى سبيلى ذلك أى جهد جدى . اغفرى لى يا چوانا . . . لا . . . بل أنت يا ميبل . . . بل كلاكما . [إنه الآن رجل مجلل بالعار] ليس من السهل على الإنسان أن يكتشف أنه شخص أفاق : ولكنى أعتقد أننى سأحتمل ذلك بمرور الوقت ، وبحكم العادة .

چوانا : أنا الليلة على استعداد لأن أغفر لأى

إنسان أى ذنب [ثم فى صراحة مخلصة]
إنه شيء عظيم حقاً يا چاك أن أنجو
بجلدى ولا أكون زوجتك !

پيردى : [وروحه المعنوية ما زالت فى الحضيض]
أستطيع أن أفهم هذا وأقدره . أنا بالفعل
أشعر بأنى صغير تافه .

چوانا : [وما زالت نعم الصديق] لا عليك من
هذا ، سرعان ماتكبر وتنتفخ من جديد .

پيردى : [ولم نعد للأسف ، بحاجة لأن نذرف
الدموع عليه] هذه هى المأساة . ولكنى
الآن يا چوانا ملقىً تحت قدميك مهلهلا
كالخرقة البالية . لابل تحت قدميك أنت
يا ميبل . ترى هل ستتنازلين وتمدين
يدك وتلتقطيننى من التراب ؟ أنا شخصياً
لا أنصحك بذلك .

ميبل : لا أعرف ما إذا كنت أرغب فى ذلك
أم لا يا چاك . ولكنى أبدأ بالقول
فأسألك : أينا كانت روحك الهائمة التى
كنت تبحث عنها يا چاك ؟

چوانا : وأينا ذات العود اللين المياس ؟ أو من منا أكثر ليناً وطراوة يا چاك ؟

ميبل : أتراك ما زلت تعتبرنا شخصاً واحداً أنت وأنا ؟ أم أنت وچوانا شخص واحد ؟ أم ترانا نحن الثلاثة شخصاً واحـداً ؟

چوانا : قد يطلب منك يا ميبل الآن ، أن تهمسى فى أذنه بتلك القصيدة الرائعة التى تسحر العقول . القصيدة المكونة من كلمتين فقط « ميبل پيردى ؛ ميبل پيردى» اطلب منها ذلك يا چاك ، لم يعد فى هذا عيب الآن !

پيردى : أجل ، أفرغا ما عندكما من سخرية وتوبيخ حتى لايبقى فى الجعبة شيء .

ميبل : إذا ما التقيت فى المستقبل بخليفة چوانا فسوف . . .

پيردى : [وهو خائر القوى] لا ، لا ، أرجوك يا ميبل . كل شيء إلا هذا ، بربك اذكرى لى حسنة واحدة على الأقل ،

وهى أن عينىّ قد تفتحتا فى آخر الأمر.
لا، لن يكون هناك المزيد من ذلك ، أقسم
بكل ما هو . . .

چوانا : [تقلد ثغاء الشاة ببراعتها الفائقة] با اا
با اا ! ! لقــد عاد الرجل سيرته
الأولى ! !

پيردى : يا إلهى . إذن فقد وقعتُ مرة أخرى.

ميبل : كفى كفى يا چوانا . لا داعى للمزيد .

پيردى : [ولم يزل ذهنه بعد كل هذا محتفظاً بصفائه]
بل هى على حق فى كل ما تقول .
فقد شعرت أننى أوشك أن أقع من جديد
فى خصلتى الذميمة . إذ على الرغم مما أنا
فيه من ضيق حالياً ما أحسبه سيدوم ،
أشعر فى أعماق نفسى بشىء يدفعنى دفعاً،
أن أعود لسيرتى الأولى من الغفلة والحماقة
مهما تكن الفرص التى تتاح لى للخلاص.
إننى إنسان ينقصنى الاتعاظ والحذر ،
فقد تقوض كيانى من أساسه ، لقد كان
شكسبير يعنى ما يقول حينما قال :

ليس العيب يا عزيزى بروتس عيب الحظ ، ولكن العيب مصدره نحن أنفسنا ، مصدره أننا نحس بأننا أتباع مُهانون .

چوانا : أعتقد أن من الأفضل أن تستبدل «عزيزى المستمع» « بعزيزى بروتس » . ألا توافقنى على هذا ؟

پيردى : لقد أدركت ما يجول فى خاطرى .

چوانا : هل معنى هذا أن لدينا القدرة على تشكيل أنفسنا ؟

پيردى : لاشك أن لدينا الكفاية منها .

چوانا : ولكن ، ألا يعتبر هذا شيئاً رائعاً ؟

پيردى : نعم ، هو أمل عظيم للشجعان الذين يجدون فى أنفسهم الإرادة والعزيمة . نعم هو أمل كبير لهؤلاء [ما زالت بصيرته تنفذ إلى أعماق الحقيقة بقدرة خارقة ، وذلك من خلال الشق الذى أحدثته المطرقة فى جبهته] وهؤلاء قطعاً ليسوا من أصحاب الأمزجة الكئيبة المتشائمة ؛ إنهم أولئك الأشخاص ذوو الوجوه الصبوحة

المشرقة . [يقول هذا ثم يجلس محزونا مكروبا بجوار زوجته . ولأول مرة فى حياته يشعر بالأسف من أجلها لأنها لم تقع على زوج أفضل منه] أخشى أن رصيدى من النضال والمقاومة قليـــل يا ميبل . ولكننا سوف نرى . لو حدث وضبطتنى يوماً ما ، وأنا متلبس بجريرتى المعهودة ، فلتتكرمى ولتهمسى فى أذنى بهذه العبارة : « غابة لوب » ، لعلى أتذكر وأرعوى ولو بصفة مؤقتة .

ميبل [وما زالت مطمئنة إلى شىء واحد ، وهو أنها أحبت ذلك الرجل ذات يوم ، وإن كانت غير متأكدة من الدافع لهذا الحب] ربما اتبعت نصيحتك يا چاك . . طالما كنت مهتمة بذلك . أما مدى هذا الاهتمام فيتوقف عليك أنت .

چوانا : [تقطع فترة صمت حرجة] أشعر بأن فى هذه التجربة من الأمل بقدر ما فيها من العبرة . فقد تثبت الأيام أن مغامرتنا

فى الغابة كانت درساً بليغاً على كل حال .

[وهذه النظرة المتفائلة المستبشرة للموقف لا تجد استجابة سريعة ، ولـكنها تتقدم باقتراح يحقق الغرض تماماً] نحن لا نستحق من أحد دمعة رثاء واحدة . أجل ، حتى الرثاء لا نستحقه . . إذن دعونا نضحك ونمرح .

[توفق السيدتان فى إطلاق ضحكة تنقصها الرشاقة . أما الرجل فقد منعه انفعاله الشديد من مشاركتهما] . .

چوانا : [وهى فى منتصف ضحكتها] يا إلهى . لقد ذهلنا تماماً عن الآخرين ! ترى ما الذى يجرى لهم الآن فى الغابة ؟

پيردى : [وقد عادت إليه حيويته دفعة واحدة] نعم ، نعم . ماذا جرى لهم ؟ هل تغيروا ؟

ميبل : لم أصادف أحداً منهم فى الغابة .

چوانا : ربما قابلناهم ولم نعرفهم ، فنحن لم نعرف لوب عند عودتنا .

پيردى : [بفزع] هذا صحيح .

چوانا : ألن يكون قدومهم مشهداً ممتعاً ؟ فلنمكث هاهنا لنشهد عودتهم ولنراهم وهم يفيقون من غاشيتهم . . . أو أيا ما يكونون فيه، على نحو ما فعلنا نحن .

پيردى : ما هذا الذى حدث لنا ؟ أعتقد أن شيئاً ما ضربنى على جبهتى .

ميبل : [يمتقع وجهها] من أين لنا أن نعرف أنهم سيعودون ؟

چوانا : [وقد سرت إليها عدوى الخوف] لاسبيل إلى معرفة ذلك . ألا ما أفظع هـذا !

ميبل : انصتى !

پيردى : أسمع بوضوح شخصاً ما على درج السلم.

ميبل : هو ماتى بلا ريب .

پيردى : [وقد أخذ الشق فى جبهته يلتئم تماما] فلتحاذرا كلاكما ، أن تفضيا إليه بشىء أو بأننا مررنا بأحداث غريبة !

[ومع ذلك فقد كان القادم هو مسز كود . كانت نازلة من الطابق العلوى فى منامتها ،

وفى يدها شمعة والفاع زوجها] .

مسزكود : ها أنتم أولاء عدتم أخيراً . مرحباً بكم فى البيت على كل حال . أين كودى ؟

پيردى : [وقد فوجئ] كودى ؟ هل ذهب إلى الغابة هو الآخر ؟

مسزكود : [فى وداعة] أظن ذلك . قد نزلت عدة مرات لأبحث عنه .

ميبل : كودى أيضاً ؟

چوانا : [وكأنها ترى العفاريت] يا للعجب ! يا إلهى ما أفظع هذا !

مسزكود : ما هو الفظيع يا چوانا ؟

چوانا : [بخفة ونزق] لاشىء لاشىء . كنت فقط أتساءل عما يمكن أن يفعله .

مسزكود : يفعله ؟ ما هذا الذى يمكن أن يفعله ؟ هل حدث لكم شىء فى الغابة ؟

پيردى : [يتسلم زمام القيادة] لا ، لا ، أبدا . لا شىء على الإطلاق .

چوانا : كل ما فعلناه هو أننا تجولنا قليلا هناك ثم عدنا أدراجنا . [وما أن أنهت هذا الموضوع الشائك ، حتى غيرت مجرى

الحديث مشيرة إلى لوب] ألم يلفت نظرك حال لوب ؟

مسز كود : آه ، نعم . إنه راقد على هذه الحال منذ مدة طويلة . أعتقد أنها حالة من الخمول الشديد استولت عليه ، وكلما نظرت فى وجهه خيل إلى أنه يبتسم .

پيردى : [فى فزع] يبتسم ؟

مسز كود : لعله يرى فى نومه رؤى طريفة .

پيردى : [بتحفظ] قد يكون الأمر كذلك . ولكن ألا تنصحين بأن ندعو إليه ماتى ؟

مسزكود : لقد ذهب ماتى هو الآخر .

پيردى : ما . . ذا ؟

مسزكود : على أى حال ، هو غير موجود بالمنزل .

چوانا : [بغير تحفظ] ماتى ! ترى من الذى معه الآن ؟

مسزكود : هل من المحتم أن يكون معه أحد ؟

چوانا : آه : لا . أبدا : : :

[يشعرون جميعاً وفى وقت واحد ، بشخص فى الخارج ، يقترب من النافذة] .

مسز كود : أتمنى أن يكون القادم هو كودى .

[وكان الود الذى تكنه لها السيدتان الأخريان ، يمنعهما من أن يشاركاها فى هذه الأمنية] .

ميبل : أتمنى ألا يكون القادم هو مستر كود .

مسز كود : ولماذا يا مسز پيردى ؟

چوانا : [تحاول تفسير الأمور لها] يا عزيزتى مسز كود ، أياما كان القادم ، وأياما كان تصرفه ، فأرجوك ألا تدهشى كثيراً مما سوف ترين . إننا وإن لم نصادف أى شيء غير عادى فى الغابة ، إلا أننا نشعر أن الآخرين ربما لم يسعدهم الحظ مثلنا .

ميبل : ولتأخذى حذرك يا عزيزتى فى كل ما تقولين لهم ، خصوصاً قبل أن يفيقوا .

مسز كود : قبل أن يفيقوا ؟ إنكم تحيروننى . هذا وكودى لم يأخذ معه لفافة .

: [ويجب أن نسجل هنا ، أنهم بفضل اهتمامهم وحدبهم على هذه السيدة العجوز الطيبة ، قد نسوا تماماً همومهم . يتقدم پيردى

خطوة نحو الستائر ، تحدوه رغبة تلقائية فى أن يحميها من شر المجهول . . . ولكنه يجزى على ذلك جزاءً حسناً ؛ إذ يعرف القادم الجديد الذى سينضم إلى حلقتهم] .

پيردى : [فى زهو شديد ، لا تأخذه بالقادم الجديد رأفه ولا رحمه] إنه ماتى بهيله وهيلمانه !

[يظهر رئيس الخدم العتيد ، وما يزال يحسب نفسه مكسوا بالفراء الثمين .] .

چوانا : [تحثه على الدخول .] تفضل . ادخل بالله عليك .

ماتى : مع تقديم وافر الاعتذارات أيها السيدات والسادة المحترمون . . . هل لى أن أتعرف برب الدار؟

پيردى : [وقد تقمصته لباقته الأصيلة التى تلائمه تماماً .] هذا سؤال فى محله تماماً . إنه الشخص الثالث من اليسار .

ماتى : [يتقدم نحو لوب .] أنا لا أطلب منك شيئاً يا سيدى ، إلا أن تدلنى على الطريق إلى

فندقى ، هذا إذا لم يكن فى ذلك إزعاج لك . [الجواب الوحيد الذى ندّ عن النائم ، هو رعشة صغيرة من إحدى رجليه] يظهر أن السيد المحترم مستغرق فى نومه .

مسزكود : إنه لوب .

ماتى : وما هو لوب يا مدام ؟

مسزكود : [وقد تملكها الفضول] لا شك أنك لم تنس ؟

پيردى : [يتدخل] هل هناك ما يمكن أن نفعله من أجلك ياسيدى ؟ ليس لك إلا أن تأمر فنلبى .

چوانا : [بنفس الكرم والأريحية] أرجو ألا تكون بمفردك يا سيدى ؛ قل بالله إن معك رفيقة .

ماتى : [وهو يضغط على الكلمة الأولى] زوجتى معى فعلا .

چوانا : زوجته ! . . . [ثم بشىء من الإعجاب] أنت لم تُضيع وقتك سدى !

مسزكود : لم أكن أعلم أنك متزوج .

ماتى : ولماذا يجب أن تعامى ذلك يا سيدتى ؟ إنك تتكلمين كما لو كان بيننا سابق معرفة .

مسزكود : يا للسموات ! ! هل تظن حقاً أننى لا أعرفك ؟

پيردى : [محذراً إياها بلطف ألا تندفع] هل لك يا سيدى العزيز أن تتكرم بالجلوس ؟ أرجو أن يطيب لك المقام هنا تماماً .

ماتى : [الذى اعتاد مؤخراً ، مثل هذا الاحترام والتبجل] شكراً لك . ولكن زوجتى . . .

چوانا : [بكل ما لديها من كرم ضيافة] نعم : ادعها للدخول . أنا أتحرق شوقاً للتعرف بها .

ماتى : أنت كريمة للغاية يا سيدتى . وأنا ممتن لك جداً .

ميبل : [أثناء خروجه] ترى من تكون ؟

چوانا : [تثب فى الهواء طرباً] من هى يا ترى؟ من هى ؟ من هى ؟

مسز كود : ما أعجب تلك الغابة ! إنه لا يعرف من هو على الإطلاق .

ميبل : [تهون عليها] لا تشغلى بالك بهذا يا كودى . عما قريب سيعرف .

چوانا : [وقد لمست مرة أخرى الجانب الفكاهى من الموضوع] وعما قريب ستعرف الزوجة الحسناء أيضاً ! أرجو أن تكون من اللواتى يعشقن رؤساء الخدم من أول نظرة .

ميبل : [وقد اختلست نظرة] إنها ليدى كارولين .

چوانا : [تثب فى الهواء طرباً] آه . يا للفرحة ! يا للفرحة ! وهى التى كانت ملؤها الثقة بأنها لن تضل الطريق أبداً !

[تبرز للعيان ليدى كارولين ؛ ومن الواضح أنها ما زالت ملء ثيابها ثقة بأنها لن تضل الطريق] .

ماتى : هل لى أن أقدم لكم زوجتى ؟ . . . ليدى كارولين ماتى .

ميبل : [بحرارة] كيف حالك ؟

بيردى : خادمك المطيع يا ليدى كارولين .

مسزكود : ليدى كارولين ماتى ؟ أنت ! ! ؟

ليدى كارولين : [بدون راء ولا غين فى حديثها] أنا سعيدة بالتعرف إليكم .

چوانا : [بكل لباقة] يسرنا غاية السرور أن نتعرف بأية زوجة للسيد ماتى المحترم .

بيردى : [يتصدر الجميع] اسمحى لى . هذه دوقة كاندلابرا ، وهذه ليدى هيلينا ، وتلك ليدى ماتيلدا ماناب . وأنا اللورد حامل أختام الملك .

ميبل : كنت أتمنى منذ وقت طويل أن أتعرف إليك .

ليدى كارولين : يسعدنى هذا جداً .

چوانا : [برشاقة] لا شك أن مثل هذه المقابلات غير الرسمية ، أدعى إلى البهجة .

ليدى كارولين : نعم . هى كذلك فعلا .

ماتى : [بعد أن انتهت مراسم التعارف على هذا النحو السار] ومن هو صديقكم النائم بجوار المدفأة ؟

پيردى : سأقدمك إليه عندما يفيق . . . أقصد عند ما يستيقظ .

ماتى : آسف : كان ينبغي أن أقدم نفسى . أنا چيمس ماتى .

ليدى كارولين : آل چيمس ماتى .

ماتى : لعله اسم غير مجهول فى عالم التجارة والمال . . ؟

چوانا : المال ؟ آه . إذن فقد التحقت بتلك الوظيفة الكتابية فى المدينة .

ماتى : [بشيء من الجفاء] كما تقولين بالضبط . لقد بدأت حياتى كاتباً فى المدينة ، وأنا لا أخجل من الاعتراف بذلك .

مسزكورد : [وما زالت تتلمس لنفسها شعاعاً تهتدى به فى تلك الظلمات] تصوروا هذا ! وهل يا ترى أنقذتك تلك الوظيفة ؟

ماتى : تقولين أنقذتنى يا سيدتى ؟

چوانا : معذرة ! نحن فى هذا البيت نسأل أحياناً أسئلة شاذة ، إن ما نقصده فقط ، هو أن نتساءل عما إذا كانت هذه الوظيفة قد خلقت منك رجلا أميناً ؛ أم تراك ما زلت لصاً ؟

ليدى كارولين : [وقد أصبحت بجعة هائجة] زوجى حبيبى ، ما هذا الذى تقصده ؟

چوانا : لا أقصد إساءة أو إهانة . أقصد لصاً كبيراً على نطاق واسع .

ماتى : [وقد عادت إلى ذاكرته بعض الحملات الصحفية المغرضة] آه . إذا كنت تشيرين إلى قضية اللبرادور هذه . . . أو قصة بنك النساء العاملات . . .

پيردى : [كما لو كان قد اقتنص ذبابة] أو هوو . . . لقد أوقعت به !

چوانا : [وهى تنحنى] نعم . هذا ما قصدت إليه .

ماتى : [بقلب قوى] لم يثبت فى أى منها شىء قط .

چوانا : [كمن تدعو إلى اجتماع عام لتعلن شيئاً على الملأ] ميبل ، چاك . هاهنا واحد من نفس طينتنا . لقد اخترت يا صديقى نفس الطريق مرة أخرى . [ثم بنشوة] إن المسألة أكثر من مجرد اختيار الطريق

الخطأ أو الطريق الصواب ؛ لسوف تخطئ
وتخطئ دائماً . [ثم تصدر هذه النغمة
الموقعة ؛ وكانت هي التعليق الوحيد الذي وجدته
موافقاً لمقتضى الحال] ترا . . . للا . . .
للا . . . . !!

ليدى كارولين : إذا كنت تريدين النيل من سمعة زوجي ، فاسمحي لي بأن أقول لك إنه لاتوجد على ظهر الأرض زوجة أشد اعتزازاً وفخراً بزوجها مني .

مسز كود : [تظن أنها الوحيدة بين الجميع ، التي ما زالت تحتفظ بقواها العقلية] بالله عليك يا عزيزتي ، كوني أكثر حذراً !

ميبل : مادام هذا يسرك يا عزيزتي ليدى كارولين ، فأنت وما تريدين . كنت أحسبك تنفرين من كل من لا يجرى في عروقه الدم الأزرق .

ليدى كارولين : كنت تحسبينني ؟ لماذا تهتمين بشأني كل هذا الاهتمام ؟ أود أن أؤكد لك أنني أعبد حبيبي جم عبادة .

[تأوى إلى ذراعه القوية تتعلق بها . ولكن حبيبها المغوار چيم كان قد رأى الصينية وعليها فناجين القهوة، « والكنكة » . وإذا بيده تطبق عليها لا تريد أن تفلتها وكأن بينهما وداً قديماً]

ما هذا الذى تفعله يا چيم ؟

ماتى : لا أفهم له معنى يا عزيزتى كارولينى ؛ ولكنى على نحو ما أشعر بألفة غريبة تربط بين يدى وهذه الصينية .

ميبل : « عزيزتى كارولينى » ! ؟

مسز كود : انظر . انظر إلىّ جيداً ، ألا تتذكرنى ؟

ماتى : [مفكراً] لا . لست أتذكرك ؛ ولكنى أشعر فى رأسى بأن هناك عــلاقة ما بين شخصك والبيض المسلوق جيــداً [ثم بلهجة الحزم] ألست أنت التى تفضلين فى طعامك ، البيض المسلوق جيداً ؟

پيردى : أجل . تمسّك بالبيض المسلوق . البيض المسلوق هو أول الخيط ! لقد اعتادت أن تدفع لك « بقشيشاً » محترماً لكى تعده لها جيداً . [يد ماتى تنتقل بصورة تلقائية إلى جيبه] أجل . هذا هو الجيب الذى تضعه فيه .

ليدى كارولين : [باشمئزاز] « بقشيش » ؟ !
ماتى : [بدون اشمئزاز] « بقشيش » .
بيردى : أليس وقع الكلمة عذباً على السمع ؟
ماتى : [يحمل الصينية] إنها تحفزنى على التفكير .
ليدى كارولين : [وقد أحست بضربة المطرقة] لماذا توجد سلتى الخاصة بأشغال الإبرة هنا فى هذا البيت ؟
مسز كود : أنت تقيمين هنا كما تعرفين ؟
ليدى كارولين : هذا ما يشعر به الإنسان فعلا . ولكن متى جئت إلى هنا ؟ الأمر فى غاية الغرابة .
ولكن الإنسان يجب أن يعرف موعد ذهابه أو مجيئه .
بيردى : إنها تفيق بسرعة الريح .
ماتى : [تحت المطرقة] مستر . . . . بيردى !
ليدى كارولين : مسز كود !
ماتى : ملابسى !
ليدى كارولين : أنا فى ثياب السهرة !
چوانا : [ترى نفسها مدفوعة لحل اللغز المحير] ستفهمين كل شىء بوضوح يا كارولين فى ظرف دقيقة واحدة . الواقع أنك يا چيم لم تقبل الالتحاق بتلك الوظيفة الكتابية فى المدينة ،

بل التحقت بالخدمة في المنازل بدلا من
ذلك . ولكنك من حيث الجوهر لم تتغير أبداً .

پيردى : [بظرف] أريد الماء الدافئ لحلاقتي . الساعة ٣٠ر٧ بالدقيقة يا ماتى .

ماتى : [بطريقة ميكانيكية] وهو كذلك يا سيدى .

ليدى كارولين : سيدى ؟ ليلة منتصف الصيف ! الغابة !

پيردى : أجل : تمسكي بالغابة !

ماتى : أنت . . . أنت . . . ليدى كارولين لانى !

ليدى كارولين : إنه ماتى رئيس الخدم !

ميبل : كنت في أتم سعادة وأنت معه يا ليدى كارولين .

چوانا : [بظرف] لن نفشى السر . اطمأنى

ليدى كارولين : [تتهالك] كارولين ماتى ! وكنت سعيدة بذلك ! ما أبشع هذا !

مسز كود : [تنطق بلسان الجماعة] من الصعب أن نعرف ماذا علينا أن نصنعه بعد ذلك .

ماتى : [يتقدم باقتراح] ربما كان من الأوفق أن أذهب إلى الطابق الأرضى .

پيردى : إنك بذلك تقدم معروفاً شخصياً لنا جميعاً .

[وعلى أثر هذا التأييد ، يستأنف ماقى وصينية القهوة علاقتهما الحميمة فى مخزن المؤونة بالطابق السفلى] .

ليدى كارولين : [تشعر وهى تحملق فى لوب بأن أصابعها تتحرق شوقاً لفعل شيء ما] كل هذا ، من صنع هـذا الوغد الحقير !

[تصدر من رجل لوب اليمنى رعشة . دليلا على أنه أحاط علماً بهذا الإطراء . يسمع من الخارج لحن موسيقى مرح ينطلق من صفارة]

چوانا : [تختلس النظر] كودى !

مسز كود : كودى ! ؟ لماذا هو سعيد هكذا ؟

چوانا : [تقدّر حرج الموقف] يا عزيزتى . استندى على يدى .

مسز كود : [ترتجف فجأة] هل سيعرفنى ؟

پيردى : [وقد أخجله أن يرى الخوف فى ذلك الوجه الناعم الرقيق] مسز كود ! أنا آسف جداً من أجلك . المسألة بالنسبة لأمثالنا ليست بالأمر الخطير . ولكن ، كنت أرجو – لمصلحتك – لو أن كودى لم يخرج إلى الغابة .

مسز كود : نحن الذين كان زواجنا سعيداً مدة ثلاثين عاماً تقريباً .

كود : [يظهر فى الحجرة خفيفاً مرحاً كالعصفور] هل اقتحمت عليكم سهرتكم ؟ اسمى كود ؛ كل ما فى الأمر ، أننى كنت أتجول فى الغابة أعزف على صفارتى ، ثم أبصرت ضوءكم .

مسز كود : [وكانت هى الوحيدة التى جمعت أطراف شجاعتها لتجيبه] كنت تعزف على صفارة فى الغابة ؟

كود : [بشىء من الاعتداد] ولمـــاذا لا أعزف يا مدام ؟

مسز كود : مدام ؟ ألا تعرفنى ؟

كود : لا . أنا لا أعرفك . . . [ثم يعيد النظر إليها] ولكنى أتمنى لو كنت أعرفك .

مسز كود : أتقول الحق ؟ ولماذا ؟

كود : لو جاز لى هذا ، فإنى أقول إنك تتمتعين بوجه رقيق يستحب النظر إليه .

[يلتقط عدة أشخاص أنفاسهم وكانوا قد حبسوها]

مسز كود : [تستجوبه بلهفة] من ذا الذى كان يعزف

معلك على الصفارة فى الغابة ؟

[تحبس الأنفاس]

كود : لم يكن معى أحد .

[تعود الأنفاس لتتردد من جديد]

مسز كود : ألم تكن معلك أية . . . سيدة ؟

كود : كلا . بكل تأكيد . [ثم هو يفسر كل شىء] أنا أعزب .

مسز كود : أعزب ؟

چوانا : اصمدى يا عزيزتى ؛ فقد يكون هناك ما هو أسوأ .

مسز كود : أعزب ؟ وأنت متأكد أنك لم تعرفنى ولم تتحدث إلىّ من قبل . أرجوك أن تتذكر .

كود : هذا لم يحدث فيما أعلم . لم يحدث قط . . اللهم إلا فى الأحلام .

ميپل : [تقدم على مجازفة] بماذا كنت تناديها فى الأحلام ؟

كود : كنت أناديها : بياحبيبتى — يا حبيبة الفؤاد . [يدهش هو نفسه لسماع هذه الكلمة]

هذا شيء غريب ! !

چوانا : يا له من رجل خفيف الظل ! !

مسز كود : [موزعة بين السخط والرضا] هل يليق بك أن توجه هذه الألفاظ لامرأة عجوز ؟

كود : [يفكر فى الأمر] عجوز ؟ لم أتمثلك فى الأحلام كامرأة عجوز . لا . . . لا . بل كنت شابة فى ريعان الشباب . . وكان ندى الربيع يعلو وجهك . . . وكنت تتهادين فى مشيتك وأنت مقبلة نحوى عبر السهل المعشب – كنت ترتدين ثوباً من لونين : الأسود والأخضر – وكنت تحملين معك مظلة جميلة جداً .

مسز كود : [وقد اهتزت هزة الفرح] حدث هذا فى أول مرة يرانى فيها ! كان دائماً يحبنى وأنا فى هذا الثوب الأسود والأخضر ، وكانت مظلة جميلة حقاً . انظر إلىّ الآن . أنا امرأة عجوز . . . ولهذا فلا يمكن أن أكون المرأة نفسها .

كود : [يطرف بعينه] عجوز ؟ نعم : أظن أنها

كانت عجوزاً . الوجه هو نفس الوجه
الرقيق المحبوب ؛ والابتسامة هى نفس
الابتسامة الحلوة البشوشة ، التى يستطيع
الأطفال أن يدفئوا أيديهم على الحرارة
التى تنبعث منها .

مسز كود : كان دائماً يحب ابتسامتى .

پيردى : ونحن كلنا نحبها .

كود : [يخاطب نفسه] إمّا .

مسز كود : إنه لم ينس اسمى الأول !

كود : من المؤسف حقاً أننا لم نلتق منذ مدة
طويلة . أعتقد أننى كنت فى انتظارك طول
الوقت . ترى هل تم لقاؤنا هذا بعد
فوات الأوان ؟ ألا يمكنك التجاوز عن
كبر سنى ؟

چوانا : لله ما أجمل هذا ! الرجل يعرض عليها
الزواج مرة أخرى ! كودى أيها الإنسان
السعيد ، أما زلت تهفو إلى نفس الوجه
الرقيق حتى بعد أن مضت بك ثلاثون
سنة ؟ !

مسز كود : [ولا شائبة تشوب تفاؤلها] لا ينبغي أن نفرط فى التفاؤل . وإن كنت أرى أن الشواهد تدعو حتى الآن إلى الاطمئنان . [تحثه على المزيد من الكلام] ما الذى تريده بالضبط يا مستر كود ؟

كود : [والحظ يبتسم له] أريد . . أريد فقط أن يكون لى الحق فى أن أحمل لك مظلتك وأنت سائرة فى الطريق . هل توافقين على أن تصبحى زوجتى أيتها العزيزة ؟ إنك بهذا تضعين خاتمة سعيدة لحلمى الطويل .

مسز كود : [تصلح من هيئتها] فى مثل سننا يا كودى ، لا مكان لتبادل القبلات . ولكن إليك منى هذا اللفاع لتلفه حول عنقك العجوز .

كود : لفاعى ! طالما افتقدته [ترتفع يده لا إلى عنقه ، بل إلى جبهته . وما أسرع ما يتبدل حاله ! يتفقد ثوب الحطابين الذى كان يرتديه فلا يجده] لماذا . . . لماذا . . . ماذا . . . من . . . كيف حدث . . . ؟

پيردى : [بعصبية] إنه يفيق الآن .

كود : [يترنح قليلا . ثم يستقيم عوده] لوب !
[تدل حركة الرِّجل على أن صاحبها قد سمع وعلم]
يحفظك الله يا كودى ! لقد ذهبت حقاً
إلى تلك الغابة !

مسز كود : وبدون لفاعك . وأنت المعرّض دائماً
لنزلات البرد . ما الذى تبحث عنه فى
جيوبك ؟

كود : الصفارة . إنها الصفارة . . . ضاعت .
بالطبع قد ضاعت . يا للأسف . . .
لكن . . . [يشعر بشيء من القلق] أترانى
تلفظت بأشياء كريهة ؟

ميبل : أبداً . على العكس . لقد جعلتها فخورة
بك . بل إن فيما قلته يعتبر تزكية كبرى
للجنس اللطيف كله . أتيحت لك فرصة
أخرى ، ثم وقع اختيارك عليها للمرة الثانية !

كود : طبعاً اخترتها . [ثم يطأطىء رأسه حائراً]
ولكنى كنت فى الغابة ، نفس كودى
القديم . كودى الكسول الذى لا يحب

إلا المرح ؛ ظننت أنى لو أتيحت لى فرصة أخرى ، لأمكننى أن أقوم بأعمال كبار . طالما حدثت نفسى قائلا : إن تقصيرك يا كودى عن إتمام مؤلفك الكبير ، إنما يرجع إلى لعنة المال التى أصابتك . لولا امتلاكك من المال ما فيه الكفاية ، لعكفت على كتابك حتى فرغت منه . ولكنى فى هذه المرة لم يكن عندى من المال قليل أو كثير ، ومع ذلك فلم أكتب كلمة واحدة .

پيردي : [وفيه ما فيه من المرارة] على كل حال لن يتسبب هذا تنغيص عيشك هنا . فإن لك فى هذا البيت خير أهل .

مسز كود [بصوت خافت] كانت السعادة بادية عليك وأنت تعيش حياة العجوز الأعزب .

كود : ما زلت أتعجب من نفسى يا إمّا ؛ ولكنى أعترف لك بأننى كنت سعيداً .

مسز كود : [فى رزانة مقرونة بالأسى] هل يعنى هذا أنك لست فى حاجة إلىّ شخصياً ؟ أهذا

يعنى أنك شخصية لطيفة محبوبة يمكنك
أن تكون سعيداً فى أى مكان وتحت
أية ظروف ؟

كود : يا عزيزتى . المسألة لم تصل إلى هذه
الدرجة من السوء .

چوانا : [وهى ملاك من السماء] المسألة ليست على
هذه الصورة أبداً . إن ما شهدناه يعتبر
قصة غرامية خالدة مثل قصص الحب التى
تروى . وأنا لن أسمح لأحد بأن يشوه
جمالها أو ينتقص منها .

مسز كود : شكراً لك يا چوانا . لعلك ستحاول فى
المستقبل أن تتغلب على حنينك إلى تلك
الصفارة يا كودى .

كود : [يهيئ لها مسند القدم] بل أنت كل
ما أحتاج إليه .

مسز كود : هذا صحيح ؛ وإن كنت لا أجد فى هذا
إطراء كبيراً لى ، كما كنت فى الماضى

چوانا : كودى ! تأدبى !

[تسمع نقرة على النافذة]

بيردى : [يختلس نظارة] مسز ديرث ! [تنتعش روحه المرحة] إنها قادمة بمفردها . من ذا الذى كان ينتظر هذا منها ؟

ميبل : إنها امرأة متوحشة يا چاك . ومع ذلك فأنا ألمح فيها أحياناً دماثة ورقة . أرجو بكل إخلاص ، أن تخرج من تجربتها بسلام .

بيردى : [الذى لا يرعوى أبداً] يسرنا مقدمك أيتها الغريبة .

آليس : [وكانت قد هيأت نفسها لأن تطرد طرداً من البيت] خشيت أن أفاجئكم . . . بدخولى هكذا بدون دعوة .

بيردى : كلا . مطلقاً .

آليس : [فى تحد] من عادتى أن أدخل البيوت من أبوابها الأمامية .

بيردى : سمعت أن هذه عادة الكبراء والعظماء .

آليس : [تبتسم ابتسامة سمجة] ما أغبانى ! ضللت طريقى فى الغابة . . . و . . .

چوانا : [برقة] طبعاً . طبعاً . ضللت الطريق .

ولكن لا بأس عليك . بالله أخـــبرينا عن اسمك .

ليدى كارولين : [لأول مرة يسمع صوتها من فترة طويلة ، دليل عودتها إلى طبيعتها] أجل . أجل . أخبرينا عن اسمك .

آليس : بالطبع أنا حرم الأونورابل فنش فاللو .

ليدى كارولين : طبعاً . طبعاً .

پيردى : آمل أن يكون مستر فنش فاللو فى خير وعافية . نحن لا نعرفه شخصياً ، ولكن لعلك تضفين علينا السرور بإتاحـــة الفرصة لنا للتعرف عليه الآن .

آليس : لا . لا أستطيع ذلك . إذ لا أعرف عن يقين ، أين هو الآن .

ليدى كارولين : [عن عمد وسبق إصرار] تُرى هل يعرف مكانه مخبرو البوليس الأعزاء ؟

آليس : [فلتة لسان] لا . إنهم لا يعرفون .

[وعلى كل حال كانت هذه مسألة ثانوية بالنسبة لها . كانت آليس وهى المرأة النارية المتأججة العواطف ، تنظر إلى دؤلاء الساخرين منها ، الشامتين

بها ، وتسمح لهم ، لسبب واحد فقط : هو أنهم قد يكونون أصحاب تلك الكمكة الكبيرة المستقرة على المنضدة ، وأن من المحتمل أن يتخلوا لها عنها] ما أشد حرجى ! لقد تنازلت عن شطائرى لفتاة بائسة التقيت بها مع أبيها فى الغابة ، والآن ، . . . . هل تمانعون فى أن . . . . أنا جائعة تماماً [وما زالت تبدى ترفعاً سخيفاً لا معنى له] أتسمحون لى . . . . .

[وبدون انتظار للموافقة ، تنقض على الكمكة انقضاض الباشق ، وتنظر إليها كأنها على استعداد تام لقتالهم عليها] .

بيردى : [وقد عاد إليه رشده ثانية] يا للمسكينة !

ليدى كارولين : يهمنا جداً أن نعرف ما إذا كنت قد التقيت بأحد أصدقائنا فى الغابة . . . اسمه مستر ديرث ، وربما كنت تعرفينه أيضاً .

آليس : ديرث ؟ أنا لا أعرف أى ديرث .

مسز كود : يا إلهى ! يا لها من غابة !

ليدى كارولين : إنه من الرجال الذين يدخلون البيوت من أبوابها الأمامية . رجل ملء ثيابه كما تعرفين ، يطرق الباب ويدق الجرس .

پيردى : لا تزعجيها بكثرة الأسئلة .

آليس : [وهى منهمكة فى قضم الكعكة] أنا أقابل فى العادة أناساً كثيرين . أنا كما تعرف أخرج من منزلى كثيراً . وعندى بطاقات زيارة . . . مطبوعة .

ليدى كارولين : يا لها من شخصية بارزة ! [قالت الكلمة الأخيرة بالفرنسية] ربما يكون المستر ديرث قد رسم لك صورة . إنه رسّام .

آليس : يحتمل جداً ؛ كلهم يرغبون فى رسم صورتى . وقد يكون هو الرجل الذى أعطيته شطائرى .

مسز كود : ظننت أنك قلت إن لديه ابنة ؟

آليس : أجل . بنت جميلة جداً ؛ لقد منحتها نصف كراون .

كود : ابنة ؟ ! هذا لا يمكن أن يكون ؛ ديرث .

پيردى : [بدهاء] لا تكن هكذا متسرعاً . هل الرجل الذى تحدثت إليه ، إنسان محطّم رث الهيئة ؟

آليس : لا . بل كان فيما أظن جدّاباً لطيفاً .

كود : ديرث جـــذاب ولطيف ؟ ! لا . هذا لا يمكن أن يكون . هل ذكر شيئاً عن زوجته .

ليدى كارولين : نعم ، تذكرى إذا كان قد قال شيئاً عنها .

آليس : [وهى تلتهم الكلمات مع كل لقمة] كلا ، لم يذكر شيئاً عنها .

پيردى : كان ديرث أبعد الناس عن اللطف والجاذبية ، خصوصاً أثناء معاشرته لها .

آليس : [تحدوها رغبة فى الدّعابة ؛ والكعكة هى المسؤولة عن ذلك بلا شك] قد يكون العيب هو عيب السيدة .

[يقترب آخر المغامرين من النافذة وهو يدندن بأغنية فرنسية] .

كود : إنه صوت ديرث . يبدو فيه السعادة والمرح .

چوانا : [الملائك] آليس أيتها المسكينة ، أيتها المسكينة !

پيردى : سوف يكون المشهد أليماً ؟

[يدخل رجل عينه صافية لامعة ، وخطوته نشطة متوثبة] .

ديرث : آسف إذ أتهجم عليكم بهذه الصورة غير اللائقة ، ولكن لى بعض العذر فى ذلك . أنا رسّام . أرسم ألواناً من . . . ثم . . . . [يشعر بأن وجوده قد أحدث توتراً غريباً بين الحاضرين] .

مسز كود : لا أملك يا مستر ديرث إلا أن أصارحك القول ، بأنى سعيدة جداً إذ أراك هكذا فى أحسن صحة ؛ يا إلهى كأنه رجل جديد! ألا ترون ذلك ؟

[لا يجد أحد من الموجودين الجرأة ليرد على هذا السؤال] .

ديرث : لا شك أنى فى أحسن صحة ؛ إذا كان هذا يهمكم فى شىء . ولكن هل سبق أن ذكرت لكم اسمى ؟

چوانا : [وكان لا بد لأحـد أن ينطق] كلا : ولكن . . . ولكننا فى هذا البيت نتمتع بفراسة غريبة .

ديرث : على أية حال هذا شىء غير مهم : إليكم المشكلة : التقيت أنا وابنتى فى الغابة بامرأة

بائسة تتضور جوعاً . وكنا سعداء مثل فراشات الحقول ، ثم قطع علينا سعادتنا منظر تلك المرأة ، وما كانت فيه من تعاسة وشقاء . هل يمكنكم أن تعطونى شيئاً لها ؟ لماذا تنظرون إلىّ هكذا ؟ [يرى بقايا الكعكة] هل آخــــذ هذه ؟ [تتوارى إحدى السيدات الموجودات . فيلفت ذلك نظره ، ويتعرف عليها على الفور ؛ كانت هى المرأة التى يقصدها بحديثه . ولكنه يراها الآن فى ثياب فاخرة ، تظهر عليه أمارات الحنق] إذا لم أكن مخطئاً ، فقد كنت أنت التى لقيتك فى الغابة . هل كنت تســخرين منى يا سيدتى ؟ [ثم موجهاً الحديث إلى الآخرين] كان الطعام من أجلها .

آليس : [وأويدها تحرس المكان الذى أخفت فيه منحته التى أعطاها لها] أتراك جئت لتستعيد النقود التى منحتنى إياها ؟

ديرث : إنه ثوبك !! عند ما كنت فى الخارج ، كنت فى أسمال بالية .

آليس : [وقد تولاها الفزع بعد أن اكتشفت ثوب

السهرة الفاخر عليها] أنا . . . لا . . .
لا . . . أفهم . . .

كود : [فى لهجة جادة] أما عن هذا يا ديرث ، فأنا أقول لك بصراحة إنك أيضاً كنت فى الغابة فى هيئة مختلفة .

[ينظر ديرث إلى ملابسه] .

ديرث : ماذا . . . . !

آليس : [وما زالت فى رهبة من الموقف] أين أنا ؟ [إلى مسز كود] يبدو أنى أعرفك من قبل . . . هل هذا صحيح ؟

مسز كود : [بروح الأم الرءوم] نعم . هذا صحيح يا عزيزتى ؛ استندى على يدى ؛ سوف تتذكرين كل شىء حالاً .

چوانا : أخشى يا مستر ديرث أن الأمر سيكون صعباً بالنسبة لك ، أكثر مما هو بالنسبة لنا .

پيردى : [يشيح بوجهه] أتمنى لو استطعت مساعدتك ؛ ولكنى لا أستطيع ؛ فلست إلا شخصاً تافهاً منحلاً .

ميبل : نحن آسفون جداً من أجلك . . . .

أما زلت لا تتذكر ؟ . . . ليلة منتصف الصيف ؟

ديرث : [يسيطر على نفسه] ليلة منتصف الصيف ؟ هذه الحجرة ، نعم ، هذه الحجرة . . . أنت . . . . هل كنت أنت ؟ كنت ذاهبة للبحث عن شيء . . . . كانت هي شجرة المعرفة . أليس كذلك ؟ وكان هناك من يلحّ عليّ بالذهاب من هو هذا الشخص ؟ سيدة فيما أظن . . . . ترى لماذا كانت تلح عليّ لكي أذهب ؟ ماذا كنت أفعل هنا . . . ؟ كنت أدخن سيجاراً . . . . ثم تركته هناك . . . . [يعثر على السيجار] ترى من هي السيدة التي كانت تلحّ علي لأن أذهب ؟

آليس : [بضعف] هناك شيء ما عن فرصة ثانية .

مسز كود : نعم يا عزيزتي المسكينة . حسبت أن في وسعك أن تستفيدي منها كثيراً .

ديرث : سيدة لم تكن تحبني . . . [ثم مؤكداً] كانت لديها أسباب قوية لذلك . . ولكن

ما هي تلك الأسباب ؟ . . . .

آليس : رجل عجوز قميء هو الذى دبّرها . . .
ماذا فعل بالضبط ؟ [ترتفع المطرقة لتضرب]

ديرث : أنا ... إنه يعود . يعود إلىّ . . أنا لست
الرجل الذى ظننت أننى هو .

آليس : أنا لست مسز فنش فاللو . من أنا ؟

ديرث : [يحملق فيها] لقد كنت أنت السيدة .

آليس : إنه أنت ... زوجى !

[تغلب على أمرها تحت وطأة انفعالها]

مسز كود : يا عزيزتى ، أنت الآن على حسب
ما شاهدت ، أحسن حالا بكثير مما كنت
وأنت مسز فنش فاللو .

آليس : [وقد هزتها هذه الحقيقة] . نعم ، نعم . هذا
صحيح . [تنظر إلى ديرث] أما هو فالأمر
بالنسبة له مختلف .

ديرث : آليس . . . أنا . . . [يحاول أن يبتسم] لم
أعرفك عندما كنت فى الغابة مع مرجريت
مرجريت ... ؟ إنها ... إنها هى ...
أنت ... مرجريت ... ! ! [المطرقة تهوى]
يا إلهى ! ! [يدفن وجهه فى كفيه]

آليس : أتمنى ... أتمنى ...

[تضغط كتفها على كتفه بعنف . ثم تتولى خارجة من الباب]

پيردى : [إلى لوب بعد هنيهة] أيها الوغد العجوز .

ديرث : لا ، إنه ليس شريراً . أجد فى نفسى ميلا شديداً إليه ، إلى مضيفنا الموجود الحبيب لوب ؛ شكراً . شكراً لك على الساعة التى قضيناها فى الغابة [يخرج من المسرح وهو الرجل المحطم الذى كانه]

كود : هل رأيت يده ؟ لقد عادت إليها رعشتها من جديد .

پيردى : وعينه ؟ لقد عادت سيرتها الأولى ، خبا بريقها وأصبحت مغرورقة من الخمر .

چوانا : ومع ذلك فما أظرفهما من زوجين ! !

پيردى : [يضع يده على سر المأساة] بل كلنا ظرفاء .

ميبل : هى ظريفة حقاً لولا شراستها .

پيردى : ليس فيها ما يعيبها إلا شىء واحد وهو أنها تسىء اختيار الزوج المناسب لها ، سواء كان طيباً أم وغداً .

كود : ليس فى استطاعتنا أن نغيّر أنفسنا .

ميبل : چاك يقول إن هذا فى استطاعة الشجعان .

چوانا : الشجعان ذوو الوجوه الصبوحة المشرقة .

ميبل : إذن لا تزال أمامنا فسحة من الأمل أنا وأنت يا چاك .

پيردى : [فى خسة] لا أتوقع أن يحدث هذا .

چوانا : [تتمشى فى أرجاء الغرفة كمن يجدد ذكرياته بعد غيبة طويلة] أليس من الأفضل لنا الآن أن نأوى إلى الفراش ؟ لا شك أن السهرة قد طالت بنا .

پيردى : فلنتمسك بالفراش ، الفراش هو الحل .

[تصفو النفوس بعد كدر ، وتشرق الوجوه بعد توتر]

ماتى : [وهو يدخل] الإفطار جاهز .

[تصدر من الجميع صيحات الدهشة]

ليدى كارولين : لقد توقفت ساعتى .

چوانا : وأنا الأخرى قد توقفت ساعتى .

ميبل : هأنذا أشم رائحة القهوة اللذيذة .

[تنقشع عنهم تماماً ؛ الغاشية التى غشيتهم]

كود : هلمى بنا يا كودى ؛ أرجو ألا تكونى قد أرهقت قدمك .

مسز كود : غداً سأمنحه راحة طويلة .

ماتى : لقد سلقت البيض الذى تريدين . أبقيته فى الماء ست دقائق يا سيلتى .

[ينطلق أصدقاؤنا فى طريقهم مرة أخرى ؛ ليستأنفوا جوائتهم الأبدية فى الحياة . أما چوانا الفضولية فتتخلف عن الركب]

چوانا : كانت تجربة عجيبة حقاً يا ماتى ؛ هل تظن أن لها أثراً باقيا ؟

ماتى : [ولم تكن التجربة قد تركت فيه أقل أثراً] إنها غالبا لا تترك أى أثر يا آنستى . ولكنها من آن لآخر تترك أثراً فيما أعتقد :

[وكان فى قوله هذا أمل أى أمل للشجعان . ولو تريثنا قليلا فربما رأينا آل ديرث وهم يشقون طريقهم نحو النور]

ماتى : يستطيع السيد أن ينبئك بالخبر اليقين .

[فأما الرجل المقصود ، فهو صاحبنا لوب العجوز الزئبق المراوغ ، ويستجيب لهذا بركلة أخرى من رجله ، قد يكون معناها أن أحداً من الباقين ان يتغير ،

اللهم إلا إذا تلقى ضربة أخرى من المطرقة . وعندما
يتقدم نحوه ماقى لينتزعه من كرسيه ، لا يجده فيه .
ولا يسبب اختفاؤه الغامض هذا لماقى أية دهشة ،
فيهز كتفيه ، ثم يفتح النوافذ ليسمح لنور الصباح
الصيفى الباهر ، بأن يتدفق ويملأ الحجرة . ونرى
الحديقة قد عادت إلى حيث كانت ، ونرى بطلنا
الضئيل العجيب ، منهمكاً فى العمل بين أزهاره]

روائع

المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

ملتزم النشر والتوزيع الشركة التعاونية للطباعة والنشر ١٤ ش عماد الدين ت ٤١٣٠٣

الثمن ١٠ قروش